المشرق

التذكار المئوي السادس عشر

للمجمع المسكوني النيقوي الاوّل

لحضرة الاب فردينان توتل اليسوعي

ليس في تاريخ الكنيسة الجامعة في القرون الاولى من انشائها حادث اعظم شأناً وأعمّ نطاقاً في نتائجه من المجمع المسكوني الاوّل الذي عُقد في عهد قسطنطين الكبير في مدينة نيقية في اواسط السنة ٣٢٥ فلم يشأ قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر ان تمرّ هذه الفرصة السانحة دون ان ينتهزها ليذكّر بها العالم الكاثوليكي بل النصراني باجمعه وفيه ظهرت وحدة الكنيسة بكل بهائها ولاح ايمانها بتلك العقيدة الجوهريّة التي علينا مبنى كلّ المعتقدات النصرانيّة اعني لاهوت ابن الله وميلادهُ منذ الازل من جوهر أبيه دون اختلاف وميزة في الزمان والطبيعة مع تمييز كلّ منهما والروح القدس بالاقنومية. ومن ثمّ امر بان يُحتفل في يوم عيد العنصرة في آخر الشهر المنصرم بتذكار هذا المجمع في كلّ انحاء العالم الكاثوليكيّ وقد تقدّم قداستهُ الجميع بتقدمة الذبيحة المقدّسة في كاتدرائيّة القديس بطرس في رومية على هذه النيّة في اليوم المذكور

فما عرف احبار الكنائس الشرقيّة الكاثوليكيّة ما قرّرهُ نائب السيد المسيح حتى اسرعوا الى الاجابة الى رغبته فخصّ منهم بالذكر غبطة صاحبي الطوبى بطريركي انطاكية الماروني والسرياني مار بطرس الياس الحويك ومار اغناطيوس

افرام الثاني الرحماني الذين وجّهها الى اكليروسيها رقيماً اوعزا فيه ان يحتفوا باقامة الذبيحة الالهيّة في احد العنصرة او الاحد الثاني ليشاركوا الحبر الروماني في شكره لله على تلك النعمة السابغة التي نالتها كنيسة الله في نيقية واستمدادًا لمراحمه كي يزيد في قلوب المؤمنين مرهبة الايمان وكي يجمع الرعايا المتفرّقة في رعية المسيح الوحيدة التي يرئسها خليفة هامة الرسل

وقد عرف الاخوة المنفصلون خطورة هذا الواقع الجليل اعني تذكار المجمع النيقوي فعرض بطريرك القنار على بطاركي الروم في الاسكندريّة والقدس الشريف ان يعقدوا لذلك مجمعاً دعاهما اليه. فتلقى البطاركان دعوتهُ بالفتور وردُّوها بالإباء معلنين باستقلال كنيستها وعزما على ان يعقدا دونهُ مجمعاً في القدس وظهر بذلك لكل العيان ما هي عليه الكنائس الشرقيّة المنفصلة من الانقسام بازاء الكنيسة الكاثوليكيّة ورئيسها المسموع الكلمة حتى اقاصي العالم

وها نحن نفرد في هذه المجلة مقالة خاصّة لذكر ذلك المجمع فيعرف القرّاء ما يستحقهُ من الاعتبار ونصيّر اصواتهم الى اسرت اجبارهم ونشاركهم في استمداد روح الايمان والوحدة من الربّ في منذور قداسة البابا بيوس الحادي عشر. وسنقسم المقالة ابوابًا مفصّلة ليحيطوا بها علماً عن ذلك المجمع وسوابقه ولواحقه واختلاف احواله

١ ما هي نيقية

نيقية مدينة من آسية الصغرى في الاناضول كانت قاعدة اقليم بيثنية بجوار البحيرة المدعوّة اسكانيوس. كان اسمها انتيغونية فلمّا تولّى إصلاحها ملكُها ليساك دعاها نيقية باسم امرأته. وكانت نيقية مدينةً عامرة في عهد الرومان وفي زمن ملوك بيزنطية فتحها الملوك السلجوقيون سنة ١٠٧٦ فجعلوها قاعدة مملكتهم ثمّ الصليبيُّون ثمّ الروم الى ان اخذها الاتراك عنوةً في القرن الرابع عشر فدعوها ايزنيك فاستولى عليها الخراب وقد زارها الرحّالة ابن بطوطة في العقد الثالث من القرن الرابع عشر ووصفها بما يلي :

«لا يستطاع دخولها (اي ابزيك) الّا على طريق واحدة مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد وبذلك امتنعت هذه المدينة. والبحيرة محيطة بها من جميع الجهات وهي خاوية على عروشها (سورة البقرة ع ٢٦١) لا يسكن بها إلا اناس قليلون ... وعلى المدينة اسوار اربعة بين كلّ سورَين خندق وفيهِ الماء. ويُدخَل اليها على جسور خشب متى ارادوا رَفَعَها رفعوها وبداخل المدينة البساتين والدور والارض والمزارع فلكل انسان دارهُ ومزرعتُهُ وبستانه مجموعة وشربها من آبار قريبة. وبها من جميع اصناف الفواكه والجوز والقَسْطلُ عندهم كثير جدًّا رخيص الثمن ويسمون القسطل قسطنه (بالنون) والجوز الفوز (بالقاف) وبها العنب العذاري لم ارَ مثلهُ في سواها متناهي الحلاوة عظيم الجرم صافي اللون رقيق القشر للحبّة منهُ نواة واحدة»

فهذه المدينة تشرّفت بمجمعَين عظيمين الاوّل هو الذي نحن بصددهِ والثاني هو المسكوني السابع المعقود لمناهضة محاربي الصور في القرن الثامن للمسيح. ولعلّ السبب لاختيار هذه المدينة لهذين المجمعين وقوعها في وسط البلاد على ممرّ السكك الرومانيّة الكبرى التي كانت تقطعها وقربها من عاصمة المملكة قال ابن الهروي (اطلب معجم البلدان لياقوت ٤: ٨٦١) يذكر مجمعها :

«مدينة نيقية من اعمال اصطنبول على البرّ الشرقي وهي المدينة التي اجتمع بها آباء الملّة المسيحيّة وكانوا ثلثمائة وثمانية عشر اباً يزعمون ان المسيح عليهِ السلام كان معهم في هذا المجمع وهو اوّل المجامع لهذه الملّة وبهِ اظهروا الامانة التي هي اصل دينهم وصُوَرهم وصُوَر كراسيهم بهذه المدينة في بيعتها ولهم فيها اعتقاد عظيم»

٢ ما معنى المجمع المسكوني

معلوم ان الكنيسة المسيحيّة يسوسها الحبر الاعظم ولفيف الاساقفة ولذلك ترى في تاريخها ذكر عدّة مجامع مكانيّة في الشرق والغرب كان يلتئم فيها الاساقفة لاغراض شتى دينيّة امّا لنفي بدعة وامّا لتأييد حكم وايضاح حقيقة وامّا للمفاوضة في بعض شؤون المؤمنين. وقد بقي من هذه المجامع آثار عديدة وقوانين جمّة جرى عليها المؤمنون في اصقاعهم المختلفة. وقد بلغ في بعض هذه المجامع عدد الاساقفة مئة بنيّف كمجمع انطاكية مثلًا الذي حرم فيهِ الآباء بولس السَّمَيْساطي ونيس اساقفة هذه المدينة سنة ٢٦٧ فانّ احد قدماء الكتبة يزعم ان عددهم بلغ ١٨٠ اسقفاً. وقد اثبت البابا القديس فليكس الاوّل اعمال هذا المجمع

على انَّ هذه المجامع المكانيَّة الخاصَّة مع عظم فائدتها لم تشمل منافعها سائر انحاء المعمور حيثما كان انتشار الايمان المسيحيّ . فكان لا بُدَّ من مجامع أخرى عموميَّة او مسكونيَّة يلتئم فيها الاساقفة من معظم انحاء العالم للنظر في امور الدين العموميَّة وقطع دابر الاضاليل . ولم يصحّ ذلك الَّا بعد خمود الاضطهادات ضدّ الكنيسة واعلان قسطنطين الامبراطور بنصرانيَّته ليحمي ذمارها ويسوّل لها القيام بمهمَّتها في الارشاد والتعليم ويسخّر لأربابها عمّال السكك الرومانيَّة ومركباتها البرّيَّة ومراكبها البحريَّة

٣ ماذا كان الداعي الخاصّ لعقد المجمع النيقويّ

انَّما كان الداعي الخاصّ لعقد هذا المجمع بدعة آريوس في زعمه عن تكوين كلمة الله الازليَّة في بدء الزمان وانكرانه لالوهيَّة السيد المسيح ابن الله الوحيد

ولايضاح هذا الامر نقول انَّ الكنيسة استنادًا الى وحي الله في الانجيل والى تعليم رسله الاطهار الست دائمًا منذ انشائها في انَّ السيد المسيح كلمة الله الحيّ الله حقّ في طبيعتين الهيَّة وانسانيَّة . كتب لا وقد ورد صريحًا في الانجيل المقدس (يوحنا ١ : ١—٣) : « في بدء كان الكلمة . والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله . . . وكلّ به قد كوّن . وبدونه لم يكوّن شيء » وهو القائل (يوحنا ١٠ : ٣٠) : « انا والآب واحد » . وقال (١٤ : ٦) : « انا الطريق والحقّ والحياة » وقال (١١ : ٢٥) : « انا القيامة والحياة من آمن بي لن يموت الى الابد » . ونصوص أخرى كثيرة لا يمكن فهمها مجازًا بل تُعلن بلاهوت ابن الله المتأنس . ومثلها اقوال الرُّسل في رسائلهم كقول القديس بولس (رومية ٩ : ٥) : « ومنهم (اي من اليهود) المسيح بحسب الجسد الذي هو على كلّ شيء إله مبارك مدى الدهور » وقال (عبرانيّون ١ : ٢—٣) عن السيد المسيح انَّ الله « به انشأ الدهور وهو ضياء مجده وصورة جوهره وضابط الجميع بكلمة قوَّته » ومثله ليوحنا في رسالته الاولى (٥ : ٢٠) : « نحن في الاله الحقيقي في ابنه يسوع المسيح . هذا هو الاله الحقيقي والحياة الابديَّة » وكذلك في سفر الرؤيا (٢١ : ٦) : « انا الالف والياء البداءة والنهاية »

فلم يبقَ ريب بعد هذه الآيات للشكّ في لاهوت السيّد المسيح . وهذا الايمان

الموروث من فم ابن الله ومن آيات رسله الكرام هو الذي علّمهُ الآباء بعد الرسل ولأجلهِ سفك الوف بل الوف الالوف من الشهداء دماءهم بطيب القلب . فكيف اذن نكر آريوس هذا التعليم الحقّ وعدل الى الضلال ؟

الجواب على ذلك انّ آريوس ليس هو اوّل من ذهب الى نكران لاهوت السيد المسيح كلمة الله وانّما اخذهُ من بعض المبتدعين الذين سبقوهُ . ولعلّ السبب الاوّل لهذه البدعة انّ بعض المتنصرين الاوّلين ممّن كانوا درسوا في الاسكندريّة تآليف افلاطون وتلامذتهِ ولاسيما اليهودي فيلون اذ وجدوا فيها ذكر «الكلمة» وهي على قول الافلاطونيين اوّل مخلوقات الاله الاعظم امّا جوهرٌ دون جوهرهِ وامّا قوّة من قوّاتهِ فطبّقوا عليها كلام القديس يوحنّا الانجيلي في اوّل بشارتهِ والفرق بينهما ظاهر فجاروا عن الحقّ واشتطّوا . فمنهم كان بولس السميساطي السابق ذكرهُ الذي زعم ان السيّد المسيح انسان محض وانّما حلّت عليها الكلمة وسكنت فيهِ ليس جوهريًّا بل عرَضاً بنفوذها وقوّتها . فتصدّى لهُ علماء امائل كالقديس غريغوريوس العجائبي اسقف قيصريّة واخوه ايثرذورس وفرمليانوس القيصري ومكسيموس البصروي وغيرهم مبرهنا تعليمهُ ونفوره عن كرسيّهِ

بيد ان هذا الداء لم يُحسَم تماماً في انطاكية فقام بعدهُ احد كهنتها المدعوّ لوسيانوس وكان معلّماً في كنيستها فانكر مساواة الابن للآب في جوهرهِ وفي ازليّتهِ فأفرز لذلك مدّةً عن شركة الكنيسة الى أن ارعوى عن قولهِ تائباً ثمّ قُتل شهيداً في سبيل الايمان

وكان تخرّج على لوسيانوس كثيرون من مواطنيهِ ومن الغرباء واطّلعوا على كتاباتهِ واستقوا الضلال منها ومن جملتهم آريوس الاسكندريّ . وكان هذا رجلاً فخُوراً مستبدًّا برأيهِ معجباً بعلمهِ ومعارفهِ الفلسفيّة وأكبّ على درس كتابات فيلون اليهودي فأحيا تعاليمهُ في «الكلمة» ومنزلتها الدانية بالنسبة الى الله الآب الذي هو وحدهُ الله وما الكلمة اي الابن إلّا صنيعهُ وبهِ خلقَ جميع المخلوقات . فشاع هذا التعليم وراق في اعين الذين تنصّروا في عهد قسطنطين من علماء الوثنيّة

فلمّا وقف القديس بطرس بطريرك الاسكندريّة على تعليم آريوس وكان اذ ذاك شمّاساً وماهُ بالحرم . ثمّ تظاهر بالتوبة في عهد خلفهِ الاسقف اكيلّاس (سنة ٣١٢)

فاصلحهُ مع الكنيسة وسامهُ كاهناً. إلّا انهُ عاد الى قيئهِ بعد وفاة اكيلّاس وجلوس القديس اسكندر على كرسيهِ وكان آريوس يؤمل ان يُنصب اسقفاً بدلاً منهُ فحملهُ الحسد الى ان يناصبه ويزيد تمادياً في غيّهِ. ولم يزل يتفاقم الشرّ ويستفحل الضلال وينتشر حتى لم يَعُد ممكناً شفاؤهُ الّا بالتئام مجمع مسكوني

وقد اختصر المقريزي في الخطط (٢ : ١٨٥) سبب اجتماع مجمع نيقية بقولهِ :

« وسببهُ انَّ الاسكندروس بطرك الاسكندريّة منع اريوس من دخول الكنيسة وحرمهُ لمقالتهِ ونقل عن بطرس الشهيد بطريرك الاسكندريّة انه قال عن اريوس انَّ ايمانهُ فاسد وكتب بذلك الى جميع البطاركة. فمضى اريوس الى الملك قسطنطين ومعهُ اسقفان فاستمالوا بهِ وشكوا الاسكندروس فامر باحضارهِ من الاسكندريّة فحضر هو واريوس وجمع لهُ الاعيان من النصارى ليناظروهُ. فقال آريوس : « كان الآب اذ لم يكن الابن ثمّ أُحدِث الابن فصار كلمةً فهو مُحدَث مخلوق فوّض اليهِ الآب كلّ شيء فخلقَ الابنُ كلّ شيء من السماوات والارض وما فيها فكان هو الخالق بما اعطاهُ الآب. ثمّ ان تلك الكلمة تجسّدت من مريم ومن روح القدس فصار ذلك مسيحاً. فاذاً المسيح مُنشأن كلمةٌ وجسدٌ وهما جميعاً مخلوقان ». فقال الاسكندروس : ايُّنا اوجب عبادة مَن خَلَقَ او عبادة من لم يَخلُق ؟ فقال اريوس : بل عبادة من خَلَقَنا اوجبُ. فقال الاسكندروس : « فان كان الابن خلقنا كما وصفت وهو مخلوق فعبادتُهُ اوجب من عبادة الآب الذي ليس بمخلوق بل تكون عبادة الخالق كفرًا وعبادة المخلوق ايمانًا وهو اقبحُ القبيح ». فاستحسن الملك قسطنطين كلام اسكندروس وامرهُ ان يحرم اريوس فحرمهُ وسأل اسكندروس الملك ان يُحضر الاساقفة. فامر بهم فاتوهُ من جميع المملكة واجتمعوا بعد ستة اشهر بمدينة نيقية »

وخلاصة مذهب اريوس انهُ جعل كلمة الله خليقةً من الخلائق وبقولهِ هذا قوّض اركان الدين المسيحي بملاشاة سرّي التجسُّد والفداء.

٤ من هو الذي تولّى جمع مجمع نيقية ورئاستهُ

انَّ في قول المؤرخين ان قسطنطين امر باحضار الاساقفة فجمعهم في نيقية نظرًا يؤخذ منهُ انَّ ملكاً زمنيًّا تولّى امرًا دينيًّا على خلاف ما امر بهِ السيّد المسيح الذي اعطى لكنيستهِ وقبل الكلّ للقديس بطرس هامة الرسل هذه السلطة اذ جعلهُ الصخرة المبنيَّة عليها كنيستهُ ومنحهُ رعايتها والحلّ والعقد في الارض والسماء.

والحقيقة في ذلك انَّ قسطنطين لم يتفرَّد بفعلهِ هذا دون تفويض الحبر الاعظم

فعمل في ذلك عمل المساعد ليس عمل الرئيس فانَّ اجتماع اساقفة من كلّ انحاء العالم كان يستدعي من الهمم والنفقات ما لم يمكن ان يقوم بهِ غير ملكٍ مسموع الكلمة في دولتهِ

والحقّ يقال ان مجمع نيقية عُقد برضى الحبر الروماني رأس الكنيسة القديس سلوستروس وباذنهِ وبرئاسة ممثليه. لنا على ذلك شواهد قديمة صادقة على الرغم من فقدان بعض اعمال هذا المجمع ورسائل الملك قسطنطين

والشاهد الاوّل هو ما ورد في الكتاب الحبري (Liber Ponrificalis) من اجلّ الكتب الكنسيَّة واقدمها الذي قام بطبعهِ المسيو والعلّامة الاثري دوشان (Duchesne, I, 75) فيقول صريحاً: «وفي عهد البابا سلوستروس عُقد مجمع نيقية برضاه (cum ejas consensu)

والشاهد الثاني ما اعلن بهِ آباء المجمع المسكوني السادس والقسطنطيني الثالث وذلك في السنة ٦٨٠ حيث كان معظم آباء المجمع من اليونان وبينهم وبين رومية منافرات ومع هذا لم يتردّدوا من القول: «ان قسطنطين الملك الكبير وسلوستروس الجزيل الاكرام قد جمعا في نيقية [illegible] والجليل الشأن» (١

والشاهد الثالث ما قالهُ احد كبار اساقفة الروم في القرن التاسع فاودورس ابو قرّة اسقف حرّان في ميسره في صحّة الدين المسيحي (المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٧٠٢) : «او ما تعلمون ان اريوس حيث خرج انما اجتمع الجمعُ عليهِ بامر اسقف رومية فطرحهُ المجمع المقدّس وابطل اراسيسهُ»

وما يقولهُ هنا ابو قرّة يكرّرهُ بكلامهِ عن كل مجمع من المجامع التالية مصرّحاً بانهُ «جُمع بامر اسقف رومية»

وكذلك ورد في اعمال آباء المجمع الخلقيدوني المسكوني الرابع سنة ٤٥١ في رسالة القديس لاون الكبير الى آباء المجمع حيث يُصرّح قائلاً: انهُ «دعا هذا المجمع العامّ بامر الامراء المسيحيين وبرضى الكرسي الرسولي ثم يقول:

«اني وجهت هذه الرسالة الى محبتكم لتعلموا ايها الاخوة ويعلم لفيف المؤمنين انني لستُ فقط مثبتاً ما امضاهُ وسُلنا بل أثبت بنفسي وسلطتي ما قرّرتم بخصوص امور الايمان .. فيُقطع من

١) اطلب مجموعة المجامع للمانسي (المجلّد ١١ الحقل ٦٦١)

الكنيسة كلّ المشابهين لسطور ولاوطيخا ولذيوسقوروس»

وقد جاء في البندكتاريون من كتب الروم الطقسيّة (طبعة القبر المقدّس في اورشليم سنة ١٨٨٨ : ص ١٩٢) في احد الآباء: «انّ مشاهير الآباء في نيقية كانوا سلبسترس رئيس كهنة رومية وميطروفانيس القسطنطينيّ كان مريضاً فحضر هذان بواسطة نوّابهما الخ» ففي شهادته عن نوّاب الحبر الاعظم دليل على رضاه به. أمّا حضور مطروفانيس بنوّابه فليس بصحيح لان قسطنطينيّة لم تصبح عاصمة للشرق الّا سنتين بعد المجمع النيقوي اي السنة ٣٢٨ ولا ذكر لاسم ميطروفانيس بين آباء المجمع

هذا ولم يلتئم المجمع النيقوي فقط برضى الحبر الاعظم بل تولّى ايضاً رئاسته بقاصده الرسولي اوزيوس اسقف قرطبة وكاهنَيْه ڤيتوس وڤنسان

وممّا يثبت قولنا اوّلًا ان جيلازيوس اسقف سيزيقة من كتبة القرن الخامس في شروحه على اعمال المجمع النيقوي يذكر انّ الرئاسة فيه كانت لاوزيوس الاسبانيّ. واليه يشير القديس اثناسيوس في كتاب هربه حيث يمدح اوزيوس ويعظمه ويصرّح «بانهُ شيخ جليل تولّى رئاسة عدّة مجامع» فقال (١ :

ἐπίσκοπος ὁ γέρων. Ποίας γὰρ οὐ καθηγήσατο συνόδους

ثمّ ثانياً نجد في اوّل جدول الآباء الذين امضوا اعمال المجمع النيقوي اسم اوزيوس مقروناً مع اسمي ڤيتوس وڤنسان وليس هناك مسوّغ لتقديم اسم اسقف اسباني بسيط على اسمي بطريركي الاسكندريّة وانطاكية وكلاهما حريص على حقوق سيادته في الشرق لو لم يكن اوزيوس معروفاً لدى الجميع كمثّل لاوّل كرسي اسقفي في العالم

ولنا مثال على هذه الرئاسة البابويّة في مجامع أخرى مسكونيّة فانّ في رسالة آباء المجمع الخلقيدوني الى البابا القديس لاون الكبير يصرّحون لهُ بانهُ كان بينهم بواسطة رسُله «كما الرأس هو بين الاعضاء» (ὡς σὺ μὲν ὡς κεφαλὴ μελῶν)

ومن البديهي انّ قسطنطين لم يشأ ان يتداخل في شؤون المجمع صوناً لحرّية

١) اطلب مجموعة الآباء اليونان P. G., XXV, col. 649

الآباء فيكون طلب من البابا سلوستروس ان يعهد برئاسة المجمع الى اوزيوس صديقه ومستشاره الذي كان قد اطلع على خفايا المسألة الاريوسيَّة في سفره سابقاً الى الاسكندريَّة فأتى تعيينهُ موافقاً لمصالح الكنيسة والمملكة معاً (١

٥ من كان آباء المجمع النيقوي

لم يبلغ الاساقفة ان الايمان في خطر الَّا وبادروا للدفاع عنه باصواتهم كما دافعوا عنه بدمائهم في ايام الاضطهاد الحديثة العهد وكان البعض منهم لا يزالون يحملون في جسدهم آثار ما تكبَّدوه من العذابات في سبيل المسيح كبفنوس اسقف ثيبة الذي اقتلع الوثنيون عينه وعقروا أُربتهُ وحكموا عليهِ بالاشغال الشاقة. وبولس اسقف قيصرية الفراتية الاجذم. والبعض هجروا مناسكهم ليشهدوا للحق بلسانهم كما كانوا يشهدون له بفضائلهم كيعقوب اسقف نصيبين الشهير بشظف عيشه وتقشفهِ اللابس ثوباً من وبر الابل وشعر الماعز والمقتات باعشاب البرية وكان قد قضى سنين عديدة حبيساً في الصحراء بين الجزيرة وفارس. وبطون اسقف هرقليـة في وادي النيل الراوي لاتعابه [illegible] وعن ابيهم انطونيوس. وسبيريدون مثال الدعة والوداعة كان راعياً قبل سيامته اسقفاً فهاجمه اللصوص يوماً ليسرقوا مواشيهُ فقال لهم: ما بالكم لا تطلبونها مني فتحصلون عليها عفواً وعن راحة ضمير. ونقلاوس اسقف ميرة العجائبي وغيرهم خطباء وعلماء كتيودورس الطرسوسي الانيني المنشأ. وليونطيوس القيصري استاذ القديس غريغوريوس النازيانزي. واوستاثيوس الانطاكي. ومكاريوس الفلسطيني. ومركلوس الانقري. والرجل العظيم الاسكندر بطريرك الاسكندرية وبمعيته اثناسيوس شمَّاسهُ الشهير بنبوغه وشدة عزمه مع ما كان عليهِ من غضاضة السنّ ونحافة الجسم

وبين هؤلاء الاساقفة الممثلين لكنائس الشرق كان اساقفة غربيون وهم يمثلون كنائس الغرب بدروت الهرقلي وبروتوجين السرديقي واسكندر التسالونيكي(٢ واوستورجيوس الميلاني وكيتون الصقلي ونيكاز البروفنسي وسيسيليان القرطجني.

---

١) اطلب تاريخ دي بروليي DE BROGLIS: L'Eglise et l'Empire Romain an IV^e Siècle, II, 20

٢) بقيت تسالونيكة تحت ادارة الحبر الروماني زمناً طويلاً

وفي مقدمتهم كلهم كان الوند البابوي الذي اتينا بذكره. وما عدا اساقفة الشرق والغرب كان هناك اثنان من اقاصي البلاد الاجنبيَّة الواحد فارسي واسمه يوحنا والثاني غوطي واسمه تيوفيلوس. فهؤلاء اجمعون اتوا المجمع ممثلين للعالم المسيحي وانضمُّوا الى اخوتهم ولم يكونوا يعرفونهم سابقاً الَّا بما سمعوه من اعمالهم وفضائلهم فشملهم فرح عظيم عند اجتماعهم وتحقَّقهم انهم متحدون بايمان واحد على اختلاف اصلهم ولغاتهم ولهجاتهم فذكروا حلول الروح القدس يوم العنصرة حيث أُعطيت للرسل موهبة الالسنة وسبَّحوا الله منشئ الكنيسة وحافظها على ما بذله من العناية نحوها حتى اخرجها من عهد الاضطهاد الدموي ظافرةً مفتخرةً بالبتين الذين ولدتهم بالمسيح

ولم تؤصَد ابواب المجلس في وجه العامّيين من اهل العلم والفلسفة فانهم دخلوا المجمع وجعلوا يحدثون الاباء ويجادلونهم واغتنم آريوس فرصة تلك الحرية ليدعو بعض الوثنيّين لتجدته فلبّوا الدعوة عن طيبة خاطر لما كانوا يرجونه من انحطاط المسيحية اذا ساد فيها التحزُّب والشقاق فضلاً عمَّا كانوا يشعرون من الميل الى تعاليم اريوس لانها كانت تؤدي في نهاية الامر الى الاعتقاد بان المسيح ليس هو الَّا اشبه بآلهة الوثنيَّة لا يفوقهم الَّا بسمو طهارته وسناء فضائله

وكان آريوس يؤمل الفوز من غير كفاح لو لم يكن في مصافّ الاباء الاثوذكسيّين الشماس اثناسيوس فكان على قصرِ قامتهِ وضعف بدنهِ يقوم في وجه آريوس ويفند اضاليلهُ ويُفحمه في محضر من الجمهور فتسودُّ له وجوه الهراطقة وتتهلَّل لهُ وجوه الآباء

ولم يكن كلام البسطاء من الاساقفة باقل تأثيراً على القلوب من كلام العلماء فقد يروى عن احدهم انه تلبَّث بالجدال مع احد الوثنيّين لكنه جزم حديثه بنتةً وقال: «يا عزيزي لقد بسطنا لك اكثر من مرة ان لا سبيل للاستفهام عن غوامض الدين اذ ليس هناك كَيْف ولا أَيْن» فاقتنع الفيلسوف وقد نوَّر الله قلبه فنبذ اضاليله وتنصَّر

٦ قسطنطين في المجمع

وكانت العوائق قد حالت دون وجود قسطنطين في نيقية عند وصول الآباء اليها ولم يؤمّ المدينة الَّا في منتصف حزيران سنة ٣٢٥ فافتتح المجمع بحفلة حافلة

وصفها اوسابيوس القيصري احد مؤرخي المجمع فقال :

«دخل الآباء قاعة المجمع وقصد كل واحد منهم كرسيًا من الكراسي التي أُعدَّت في اطراف المكان وانتظر صامتاً حضور الملك وما عتَّم ان تقدَّم الحشم الملوكي من الموظَّفين المسيحيين وأُنبئ بحضور الامبراطور فنهض آباء المجلس وبرز قسطنطين وكان رشيق القامة جميل الطلعة مهيباً وقورًا عليه ثوب ارجواني موشّى بالذهب والاحجار الكريمة فاجتاز القاعة مطرقاً بعينه الى الارض وقد افاض الاحتشام المسيحي على هيئته من الدعة والتواضع ما زادها عظمةً وجلالًا . ولمَّا بلغ صدر المجلس التفت الى الاباء وانحنى كانه يستأذنهم ثم جلس على العرش الذهبي المعدّ له وجلس الاساقفة من بعده»

ونهض الاسقف الذي كان عن يمين الملك ولعلَّهُ اوسابيوس القيصري نفسه لأنَّهُ ذكر الحادث وسكت عن الاسم ورحَّب بالملك وهنأه فاجاب قسطنطين بكلام ملؤه اللطف وكان ينقله ترجمان من اللاتينية الى اليونانيَّة

«شكرًا لله تعالى على ما خوَّلني من النعم على ان أشهدكم اليوم ان اقتمع مرآكم وأشاهد اتحادكم ان الشتات في الكنيسة كان اخطر شأنًا واشقّ شرًّا من الحروب والمنازعات ولا همَّ يشقني ويكدر صفاء حياتي كهذا الهم . . . يجب ان تتحدوا معكم نفسًا لرغائبي فترى السلام يسود بينكم انتم الذين انتظمتم لخدمة الله لتكونوا رسل السلام . . .»

وبعد ان افتتح قسطنطين المجمع بصفة رئيس شرفي لم يزل يحضر جلساته تاركاً ادارة المناقشات اللاهوتية الى الآباء وكان يكتفي بان يساعد على حفظ النظام بحضوره فيتدخَّل في المناقشات تارةً ليستعيد اقوال الخطباء فيمحصها ويناقشها وتارة ليهدّئ الخواطر لئلا ينقلب الجدال الى نزاع . على ان الرئيس الشرعي المطاع من الجميع كما رأينا آنفًا كان اوزيوس القرطبيّ المفوَّض لهذه المهمَّة من قبل القديس سلوستر البابا

٧ آريوس في المجمع

وكان المجلس قد انقسم منذ البدء الى حزبين متطرفين حزب اسكندر بطريرك الاسكندرية ومركاس الانقري وانثاسيوس وسائر من اعتنق الايمان التقليدي

تمسكاً بالعقائد التي سبق وعلمها الرسل في قانونهم المختصر وحزب اوسابيوس النيكوميدي وماريس الخلقدوني وغيرهما من انصار اريوس الذين جعلوا يطلبون اعادة النظر في قانون الايمان الذي ورثه الشعب المسيحي عن الرسل

ولم يكن لاريوس الحق بالجلوس بين اباء المجمع لانه لم يكن اسقفاً لكنه ما لبث ان دُعي اليه ليدافع عن ذاته. فوقف المبتدع في وسط الاساقفة وقفة عنيد متمرّد واخذ يبسط تعاليمه عن رباطة جأش وثقة بالنفس وكبرياء لانه كان يعتبر ذاته نابغة زمانه فأعلن بحضرة الآباء الاجلاء «ان الكلمة ليس الهاً لانه لم يكن منذ الازل بل خرج من العدم كسائر الخلائق وان هذا الاسم الذي يطلق عليه اعني الكلمة قد اعطي له مجازاً وتجثلاً وان الحكمة المنسوبة اليه لا تمكنه من معرفة الآب بل لا توهله الى معرفة جوهر نفسه

ولم ينتهِ آريوس من كلامه الّا وبدت على ملامح الاباء امارات الدهشة والامتعاض وجعل البعض يسدُّون آذانهم لئلّا يضطروا الى سماع التجديف واستولى الاستياء حتى على حزب اوسابيوس نصير اريوس على انهم تدخلوا لدى قسطنطين لئلا ينفي آريوس على الفور وسعوا بأن يفسحوا مجالاً للجدال لئلّا يتفرط عقد المجلس ولا يُحصل منه انتصار الحق وتزييف الباطل. أمّا اثناسيوس فانهُ قام يحاجُّ المبتدعين ويُلجئهم الى الاعتراف بايمانهم بلا مواربة ولا كتمان فيختاروا ان يكونوا اماً مناصرين للتعليم التقليدي واما خصامه

على ان الآباء لم يحكموا بامر آريوس الا بعد الفحص وعن تروٍ وبعد ان دعوه مراراً الى المجلس وسمعوا حجّجه وبراهينه وقد لقي صبرهم وطول اناتهم مع المبتدع ما يعظمهم في عين التاريخ اذ لم يستنكفوا من مقابلة اريوس ومناقشته ومعاملته بالحلم لعلّهُ يرعوي عن غيّهِ

وكانوا قد عهدوا الى اثناسيوس بالكلام عنهم وبترجمة افكارهم لطول باعهِ في الجدال وفي شرح العقائد العويصة وبينما كان آريوس يسند تعاليمه الى مذاهب الفلاسفة كان اثناسيوس يبني قاعدة الايمان على الوحي وعلى سر الفداء قائلاً: «ان كل اساس ديننا مبني على سرّ الكلمة المتجسد ليفدي البشر ويجعلهم ابناء الله ويوهلهم. فكيف يوهلهم ان لم يكن هو نفسه الهاً؟ وكيف يجعلهم ابناء بالتبنّي ان

لم يكن هو ابناً بالطبيعة ؟» وكان يرشق اريوس بهذا السهام : «ان كان الكلمة مخلوقاً فاي حاجة الى خالقه لان يخلق به العالم وكيف لا يستطيع ذاك الخالق كما يزعم آريوس ان يخلق العالم ؟ وان كان العالم مخلوقاً بالكلمة فلماذا لا يكون مخلوقاً بالله تواً؟

٨ القانون النيقوي

ورأى الآباء ان اسهل طريقة لحل المشكل تكون في وضع صورة لعقائد الايمان تشرح قانون الرسل ثم تُعرض على المجمع حتى اذا صادق عليها باسم الكنيسة الجامعة قدمها للمبتدعين واضطرهم اما ان يعترفوا بها ويقبلوها واما ان ينكروها فيُفصلوا عن شركة الكنيسة وتحلّ بهم القصاصات

وادرك هؤلاء مراد الاباء فجعلوا يلتمسون حيلة ليتملّصوا من ايديهم دون ان يرعوا عن رأيهم الفاسد. فاقترح اوسابيوس النيقوميدي زعيمهم ان يصاغ قانون الايمان النيقوي من عبارات تؤخذ كلها من الاسفار المقدسة وكانت غايته في ذلك ان يترك مجالاً للجدال في معانيها لان كل طائفة يؤولها بما يجاز فيتاح لاريوس وحزبه ان يقبلها بمعنى واحد وينكرها بمعنى آخر ويكون في مأمن من سلطة المجمع دون ان ينبذ تعاليمه. وكاد الاباء ينقادون لرأي اوسابيوس لولا تدخل الشماس اثناسيوس وكشف القناع عن حيل الاريوسيين. وقد روى في مؤلفاته ما جرى في جلسات المجمع في هذا الشأن فقال :

اظهر الاباء ميلهم الى قبول هذه العبارة : «ان الكلمة هو من الله» (ἐκ τοῦ θεοῦ) فأخذ الاوسابيون يتهامسون ويقولون : «أليس كل شيء من الله ونحن وجميع المخلوقات من الله ؟ الم يقل القديس بولس : «الكل من الله» (٢ كور ٥ : ١٨) ؟ ثم عمد بعضهم ان يعبروا عن فكرهم بأقوال اخرى من الرسل : «ان الكلمة هو قوة الله وصورته الازلية وهو مشابه للاب بكامل التشبيه ولا يعتريه تغيير وهو اله حق» فلحظوا ان الاوسابيين عند قراءة تلك الآيات كانوا يتغامزون ويقولون ما بينهم : «اجل نرضى بان تطلق هذه الآيات على ابن الله لان الكتاب المقدس يطلقها على ابن آدم ايضاً. الم يسمّ الانسان صورة الله ومجده ؟ (١ كور ١١ : ٧)» وبلغ الكفر من بعضهم انهم صاروا يتهكمون ساخرين ويقولون : «ألا يدعو النبي يوئيل الجراد ذاته «قوة الله» (يوئيل ٢ : ٢٥) وكان غيرهم يلفتون النظر الى كلام بولس الرسول «لا شيء يفصلنا من محبة المسيح» (روم ٨ : ٣٥) انا نحن الاحياء دائماً (٢ كور ٤ :

ويستنتجون منه ان عدم التغير والابدية ينسبان الى المخلوقات فلا بأس من نسبتها ايضاً الى الكلمة وهو مخلوق»

فحسماً لهذه المماحكات عرض الآباء على اتخاذ هذه العبارة ان الكلمة ليس هو مخلوق وانه من جوهر الله (ἐκ τῆς οὐσίας τοῦ θεοῦ) وكادوا يدرجون هذه العبارة في نص قانون الايمان وكان اثناسيوس قد صدّق عليها اذ رفع احد الاباء صوته وهو على ما يظهر اوزيوس القرطبي رئيس المجمع واقترح عليهم لفظةً مركّبة دالّة تماماً على معتقدهم وهي اومواوسيوس (ὁμοούσιος) اي من ذات جوهر الآب

وجذا الاقتراح لان تلك الكلمة كانت جاءت على فم اوسابيوس النيقوميدي في خلال المجادلات اذ قال: «اذا اعترفتم بان ابن الله هو غير مخلوق فالاحرى بكم ان تدعوه (ὁμοούσιος) اي من جوهر الآب وما من مناص للاريوسيين من تأويلها الّا بمعناها الفلسفي الذي لايحتمل مجازاً» والحقّ يقال ان تلك اللفظة اوفق من سواها للدلالة على معتقد الكنيسة وقد علّق القديس اثناسيوس عليها هذا الشرح فقال:

«ان اباء المجمع دعوا الابن اومواوسيوس اي ان لهُ وللآب جوهراً واحداً ليعلنوا بأنه لهُ ذات جوهر الاب وليس هو شبيهاً به فقط وان عدم التغير في الابن ليس كعدم التغير المنسوب لنا وان ميلاد الابن من الآب هو غير ميلاد البشر من الله وان الكلمة هو في الآب والاب هو في الكلمة فالاب اذن هو الله والكلمة هو الله ولا تمييز بينهما الا في الاقنومية»

طمع آريوس في ادراك الاسرار الالهية وفي تفسير سر الثالوث لئلا يمازج على زعمهِ البسيطَ تركيبٌ ولم يفطن ان البسيط الكامل تقصر العقول المخلوقة عن وصفهِ وادراك كنههِ ولم يؤدِّ بهِ جهادهُ الّا الى نقض سرّ التجسّد السامي الذي تلقّيناهُ عن الاسفار الموحى بها وهو ان الله بفيض جودهِ تنازل الينا حتى يرفعنا اليه. فجاءت كلمة اومواوسيوس مكذبةً لتعاليم آريوس ومُغربة عن الايمان الارثودوكسيّ اغراباً وافياً فاستحسنها الاباء اجمعون

وكان اوزيوس واثناسيوس قد سعيا في انشاء صورة مطوّلة لقانون الايمان فانجزا عملها وعرضاه على المجمع واليك تلك الصورة الاصلية

«نؤمن بالهٍ واحد، آب ضابط الكل، خالق كل ما يرى وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الذي هو وحده مولود من الآب اي انه من جوهر الاب، اله من اله،

نور من نور ، الله حق من الله حق ، مولود ، غير مخلوق ، من ذات جوهر الآب (ὁμοούσιον) (Πατρί) الذي به كان كل شيء في السماء وعلى الارض ، الذي نزل من السماء من اجلنا ومن اجل خلاصنا ، وتجسد ، وصار انسانا ، وتألم ، وقام في اليوم الثالث ، وصعد الى السماء وسوف يأتي ليدين الاحياء والاموات . وبالروح القدس . »[1]

وختم القانون النيقاوي بصورة الحرم التالي :

« واما الذين يقولون : بانه (اي ابن الله الكلمة) كان زمان لم يكن فيه وانه لم يكن قبل ان يولد ، وانه خرج من العدم ، او انه من غير جوهر الآب او ان ابن الله هو مخلوق وانه غير معصوم من كل شائبة بل معرّض للتغيير فهؤلاء تحرمهم الكنيسة الكاثوليكية »

فصدّق الآباء على قانون ايمان المجمع هذا ووقعوا اسماءهم عليه الا اثنان ثيوناس المرمري وسيكوندوس البطلماني . على ان اوسابيوس وغيره من انصار آريوس لم يستحيوا من الخداع والغش في وقت توقيع اسمهم فانهم لاحظوا انه بدسيس حرف واحد على لفظة اموأوسيوس (ὁμοούσιος) تنقلب الكلمة الى اوموبوسيوس (ὁμοιούσιος) بتغيير معناها فيصير « مشابه في الجوهر » عوض « من ذات الجوهر » فرسموا « اليوتا » (ι) الصغيرة في حرف الكلمة على القرطاس الذي قدّموه لهم معتقدين انهم بذلك من اغلاطهم لكن تلك الحيلة السافلة جلبتهم عاراً ولم تُجدهم نفعاً لان دستور الايمان النيقاوي شاع في العالم بصورته الارثوذكسية المعروفة الى يومنا

وفرح قسطنطين فرحاً عظيماً لما اطلع عليه وقال « ان لفي هذا النصّ من الايمان ما يضع حدًّا لكل جدال وليس هو من اعمال البشر انما هو صنيع الروح القدس » وامر بنفي آريوس وانصاره

هذا ما رواه الكتبة الثقات عن المجمع النيقوي وكاد يوافقهُ ما ذكرهُ كتبة العرب في هذا المجمع كالشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ١٧٤) والمقريزي في الخطط (٢ : ٤٨٦) وابن خلدون في تاريخه (٢ : ١٥٠) قال المقريزي : يذكر قول الثلثمائة والثمانية عشر آباء نيقية قالوا :

« الابن مولود من الآب قبل كل الدهور غير مخلوق وهو جوهر من جوهره ونور من نوره وان الابن اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصارا واحداً وهو المسيح هذا قول الثلثمائة والثمانية

---

١) ان قانون الايمان الشائع بين الشرقيين هو في جوهره قانون نيقية مع ما اضافهُ اليهِ آباء مجمع القسطنطينية الاول

عشر. وامر بهم قسطنطين فأنزلوا في اماكن واجرى لهم الارزاق وامرهم ان يتناظروا حتى يتبين لهُ صوابهم من خطإهم فثبت الثلثمائة والثمانية عشر على قولهم المذكور»

واختلف باقيهم فاتى قسطنطين الى قول الاكثر واعرض عمَّا سواه واقبل على الثلثمائة والثمانية عشر وامر لهم بكراسي واجلسهم عليها ودفع اليهم سيفهُ وخاتمهُ وبسط ايديهم في جميع مملكته فباركوا عليهِ ودفعوا لهُ كتاب قوانين الملوك وقوانين الكنيسة وفيهِ ما يتعلَّق بالمحاكمات والمعاملات

واردف ابن خلدون (٢ : ١٥٠) :

« ونُفيَ اريوش وأُشيد بكفرهِ وكتبوا العقيدة التي اتَّفقَ عليها اهل ذلك المجمع ونصُّها عندهم وهو (اطلب المال والنحل للشهرستاني (ص ١٧٤) . . .) نؤمن بالله الواحد الاحد الآب مالك كل شيء وصانع ما يُرى وما لا يُرى وبالابن الوحيد ايشوع المسيح ابن الله بكر الخلائق كلها مولود وليس بصنوع إله حقّ من إله حق من جوهر ابيه الذي بيدهِ أُتقنت العوالم وكل شيء الذي من اجلنا ومن اجل خلاصنا نزل من السماء وتجسَّد من روح القدس وولد من مريم البتول وصُلب أيام فيلاطوس ودُفن. ثمَّ قام في اليوم الثالث وصعد الى السماء وجلس عن يمين ابيهِ وهو مستعدٌّ للمجيء تارةً أُخرى للقضاء بين الاموات والاحياء . ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من الآب . وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسيَّة جاثليقيَّة وبقيام ابداننا وبحياة الدائمة ابد الابدين »

٩ ملحقات باعمال المجمع

كاد مشروع المجمع ينجز لولا مشاكل ثانويَّة استوقفت نظر الآباء فسعوا الى فضِّها حسماً للشقاق والخلاف

١ فمن ذلك مسألة مليطيوس اسقف نيكوبوليس في صعيد مصر كان في ايَّام الاضطهاد وفي غيبة القديس بطرس البطريرك الاسكندري سقَّف دون رخصة عدداً عديداً من الكهنة وولَّاهم على الكنائس التي كان اساقفتها محبوسين فحصل بذلك اضطراب بعد نهاية الاضطهاد . وصمَّم مليطيوس واساقفتهُ على خطئهم الى ان عالج المجمع ذلك الداء بالحلم واستتابوا المذنبين عن تصرُّفهم

٢ وكانت في الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة مسئلة أُخرى تشغل الافكار وتدفع المؤمنين الى النفور وتلك مسئلة وقوع الفصح الذي لم يتَّفق بعض الشرقيين في اقامة عيدهِ مع الكنيسة الرومانيَّة او كانوا يقيمونهُ في يوم فصح اليهود . وقد بسطت مجلة المشرق هذا الخبر في سنتها الثالثة ١٩٠٠ (ص ٤٤٥-٤٤٦) ثمَّ بيَّنت (٥[١٩٠٢]:

٣٢٦–٣٣٢) كيف اتّفق آباء المجمع النيقوي على طريقة توحيد الفصح بموجب ما تُعيّنهُ كنيستا رومية والاسكندريّة

٣ ووضع المجمع قوانين شتى جدّد بعضها عن قوانين قديمة واوجب حفظها ثمّ اتّخذ تدابير جديدة بخصوص الاساقفة وانتخابهم وكراسيّهم وسيرة الكهنة وبخصوص عقد المجامع المكانيّة وعزوبة الاكليروس وسكناهم مع الاهل والغرباء الى غير ذلك. وبين هذه القوانين البند السادس وهو يشير الى السلطة البطريركيّة المعطاة لاسقفي الاسكندريّة وانطاكية على مطارنة بلادهما بموجب تقرير لاساقفة رومية . فينتج من هذا البند ان الكنيسة الرومانيّة كانت تثبت حقوق ولاية كنيستي الاسكندريّة وانطاكية وتعلن بذلك سيادتها العامّة على الكنيسة

واعلم انّ قوانين المجمع النيقوي الراهنة عشرون عدًا . وقد وُجد في بعض المخطوطات العربيّة وغيرها ثمانون بندًا منسوبة الى المجمع النيقوي كان اوّل من وقف عليها الاب جوان باطشتا اليانو اليسوعي وجدها في مكتبة بطاركة الاقباط في الاسكندريّة ونقلها الى اللاتينيّة فكتب الله في صحّتها [illegible] ترجح منها انها مصنوعة ليست لآباء المجمع النيقوي وان يكن بعضها من آرائهم

ختام المجمع

وما اشدّ ما كان فرح قسطنطين لما رأى ما اتى به المجمع من الاعمال المفيدة لخير البلاد وسلامها فجمع الآباء قبل ان ينصرفوا وهنأهم وشكرهم وقدّم لهم الهدايا والحسنات لكنائسهم وكان يخاطبهم بدعة ولطف ويقول لهم : «انتم اساقفة الكنيسة في داخلها انا اما فأسقفها في خارجها»

فرجع الآباء النيقويون الى بلادهم وحملوا الى مشارق السكونة ومغاربها اعمال المجمع وطبعوا ذكره في قلوب الشعوب

وما زالت الكنائس الشرقيّة تذكر سنوياً الآباء النيقويين بعيد خاص وتترنّم بظفر الكنيسة الجامعة على اريوس وقد يطيب لنا في الختام ان نورد عن البنديكتاريون (طبعة القبر المقدّس في القدس ص ٢٤١) ما نعتبرهُ كخلاصة مقالتنا

«هلمَّ يا محافل المستقيمي الرأي لنبدِّد البوم للتذكار السنوي الذي للآباء المتوشحين بالله الذين من سائر المسكونة اجتمعوا في مدينة بقية الطيبة لان هؤلاء دحضوا آريوس الردي ذا الاعتقاد الكفري ورذلوه بحسن عبادة وسموه من الكنيسة الجامعة بوجب المجمع وعلَّموا الكل ان يعترفوا جهارًا بمساواة ابن الله في الجوهر والازلية قبل كل الدهور وضموا ذلك بتحرير وحسن عبادة في قانون الايمان فلذلك نزمن نحن اذًا ونقتفي اعتقاداتهم الالهية ونعبد الابن بتحقيق مع الاب والروح الكلي قدسه ثالوثًا متساويًا في الجوهر بلاهوتية واحدة»

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

القسم الثالث

شعراء النصرانيَّة في عهد الدولة العباسيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

تمهيد

قد تعدَّد الكتبة النصارى في زمن بني عبَّاس (١٣٢–٦٥٦هـ = ٧٥٠–١٢٥٨م اعني في الخمسة الاجيال التي ثبتت الخلافة في عهدتهم في بغداد عاصمة العراق. على ان معظم اولئك الكتبة خدموا الدولة في ما كانت اليه الآداب العربيَّة امسَّ حاجةً فانقطعوا الى العلوم الفلسفيَّة والطبيَّة وتهافتوا على درس الآثار القديمة فنقلوا معظم تآليف اليونان وكثيرًا من تآليف الرومان والسريان الى العربيَّة فوسَّعوا بذلك نطاق معارف العرب ومهَّدوا لهم الطريق الى تلك النهضة الادبيَّة التي امتازوا بها في القرون الوسطى

على ان النصارى لم يهملوا مع ذلك درس اللغة العربيَّة وفنونها اللسانيَّة من نثر وشعر لولا ان كوارث الدهر قد اضاعت كثيرًا منها. وها نحن في هذا الجزء ندوِّن ما وجدناهُ من ذلك متفرِّقًا في كتب الادباء وخزائن المخطوطات الدوليَّة

«هلمَّ يا محافل المستقيمي الرأي لنبدِّد البوم للتذكار السنوي الذي للآباء المتوشحين بالله الذين من سائر المسكونة اجتمعوا في مدينة بقية الطيبة لان هؤلاء دحضوا آريوس الردي ذا الاعتقاد الكفري ورذلوه بحسن عبادة وسموه من الكنيسة الجامعة بوجب المجمع وعلَّموا الكل ان يعترفوا جهارًا بمساواة ابن الله في الجوهر والازلية قبل كل الدهور وضموا ذلك بتحرير وحسن عبادة في قانون الايمان فلذلك نزمن نحن اذًا ونقتفي اعتقاداتهم الالهية ونعبد الابن بتحقيق مع الاب والروح الكلي قدسه ثالوثًا متساويًا في الجوهر بلاهوتية واحدة»

شعراء النصرانيَّة بعد الاسلام

القسم الثالث

شعراء النصرانيَّة في عهد الدولة العباسيَّة

للاب لويس شيخو اليسوعي

تمهيد

قد تعدَّد الكتبة النصارى في زمن بني عبَّاس (١٣٢–٦٥٦هـ = ٧٥٠–١٢٥٨م اعني في الخمسة الاجيال التي ثبتت الخلافة في عهدتهم في بغداد عاصمة العراق. على ان معظم اولئك الكتبة خدموا الدولة في ما كانت اليه الآداب العربيَّة امسَّ حاجةً فانقطعوا الى العلوم الفلسفيَّة والطبيَّة وتهافتوا على درس الآثار القديمة فنقلوا معظم تآليف اليونان وكثيرًا من تآليف الرومان والسريان الى العربيَّة فوسَّعوا بذلك نطاق معارف العرب ومهَّدوا لهم الطريق الى تلك النهضة الادبيَّة التي امتازوا بها في القرون الوسطى

على ان النصارى لم يهملوا مع ذلك درس اللغة العربيَّة وفنونها اللسانيَّة من نثر وشعر لولا ان كوارث الدهر قد اضاعت كثيرًا منها. وها نحن في هذا الجزء ندوِّن ما وجدناهُ من ذلك متفرِّقًا في كتب الادباء وخزائن المخطوطات الدوليَّة

١ ابو قابوس الشاعر النصراني

﴿اصلهُ وجنسهُ﴾ لا نعلم عن اصل ابي قابوس وجنسهِ الّا القدر القليل الذي لا يروي غليلًا. وجدنا في احد مخطوطات مكتبة باريس العموميّة (Ms de Paris, 2107, ff. 41) الذي عنوانهُ احسن المسالك لاخبار البرامك ليوسف بن محمّد البلوي انّ ابا قابوس كان اسمهُ عمرو بن سليمان وابو قابوس كنية. والقابوس في اللغة الرجل الجميل الوجه الحسن اللون. وبهِ تكنى ابو قابوس النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وجاء في مخطوط آخر وهو كتاب الكواكب السنيّة في شرح القصيدة المقريّة للادهميّ (Ms de Paris 3245, ff.) انّهُ كان حيريًا. وقد تصفّح هذا النسب في تحفة المجالس للسيوطي (ص ١٧٥) فسمّاهُ ابا قابوس الحميري وكان ينتمي الى بني شيبان

﴿زمانهُ ودينهُ﴾ عاش ابو قابوس في عهد هارون الرشيد في اواخر القرن الثامن للميلاد ولم يؤرّخ لولادته ووفاته تاريخ. اما دينهُ فالنصرانيّة لا شك فيه كما صرّح كثيرون من المؤرخين منهم الشريشي في الحصة (ص ٣٣) قال: «وكان ابو قابوس الشاعر رجلًا نصرانيًا من اهل الحيرة» وبذا قال الشريشيّ في شرح مقامات الحريري (١: ٦٤) وابو بكر احمد البغدادي في تاريخ بغداد في مكتبة باريس (Ms, de Paris, 2128, ff. 80) وغيرهم

﴿اخبارهُ﴾ كان ابو قابوس شاعرًا منقطعًا الى البرامكة كالرقاشي الشاعر واشجع السلمي وجحظة البرمكي. وتقرّب بهم الى الخليفة هارون الرشيد. ومن اخباره ما رواهُ صاحب تاريخ بغداد ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ص ٨٣ من نسخة باريس) قال: «قال ابو قابوس النصرانيّ: دخلتُ على جعفر بن يحيى في يوم بارد فاصابني البرد فقال: يا غلام اطرح عليهِ كساء من أكسية النصارى. فطرح عليّ كساء من خزّ قيمتهُ الف دينار. (قال) فانصرفتُ الى منزلي فاردتُ ان اكتبَ في يوم عيدٍ فلم أُصِبْ لهُ في منزلي ثوباً يشاكلهُ فقالت لي بُنيّة لي: اكتب الى الذي وهبهُ لك حتى يرسل اليك بما يشاكلهُ من الثياب فكتبتُ اليهِ (من الطويل):

ابا الفضل لو أبصرتنا يومَ عيدنا ... رأيتَ مباهاةً لنا في الكنائس

فلو كان ذاك المِطْرَفُ الخزُّ جُبَّةً لَباهيتُ اصحابي بها في المجالسِ
فلا بُدَّ لي جُبَّةٌ من جِبابكم ومن طَيلَسانٍ من خيار الطَّيالسِ
ومن ثوبِ قُوهيٍّ وثوبِ غلالةٍ ولا بأسَ إنْ أتبعتَ ذاك بخامسِ
اذا تمَّت الاثوابُ في العيد خمسةٌ كفَتْك فلم تحتَج الى لبس سادسِ
لعمرُك ما افرطتُ فيما سألتُهُ وما كنتُ لو افرطتُ منهُ بآيسِ
وذاك لانَّ الشعرَ يَزْدادُ حمدُهُ اذا ما البلى أبلى جديد الملابسِ

قال فبعثَ اليهِ جعفر حين قرأ شعرَهُ بتخوتٍ خمسة من كل نوع تختاً.

وجاء في اخبار البرامكة للبلوي وفي شرح مقامات الحريري للشريشي (١ : ٦٤) انَّ يحيى بن خالد كان اذا وعد انجز وينقدُ سريعاً ما وعد. ومن اقوالهِ : من لم يَبِتْ مسروراً بوعدٍ لم يجد للصنيعة مطعماً. فدخل عليهِ ابو قابوس النصراني فانشدهُ (من البسيط) :

رأيتُ يحيى أتمَّ اللهُ نعمتَهُ عليهِ يأتي الذي لم يأتهِ أحدُ
يَنْسى الذي كان من معروفهِ ابداً الى الرجالِ ولا يَنْسى الذي يَعِدُ

فاجازه يحيى بجائزةٍ سنيَّة وقضى حوائجهُ

﴿ديوانهُ وشعرهُ﴾ لم نجد في مخطوطات المكاتب ولا في كشف الظنون للحاج خليفة ذكراً لديوان صنَّفهُ ابو قابوس الحيري. وانَّما جاء في فهرست ابن النديم (ص ١٦٣) في باب اخبار العلماء وما صنَّفوهُ من الكتب ما حرفهُ : « ابو قاموس الشيباني مائة ورقة » يريد انَّ ديوانهُ يبلغ مائة ورقة. اما قولهُ « ابو قاموس » فتصحيف « ابو قابوس » كما يظهر. ومنهُ يستدلُّ على انهُ كان من بني شيبان الذين كانوا يحتلّون الحيرة

ومن شعرهِ ما رواهُ ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني (٣ : ١٢٦ - ١٢٩) ذكر مهاجاة ابي قابوس العتابي وتحامل ابي العتاهية على ابي قابوس قال : لمَّا ماجى ابو قابوس النصراني كلثوم بن عمرو العتابي جعل ابو العتاهية يشتم ابا قابوس

ويضع منهُ ويفضّل التنابي عليهِ فبلغهُ ذلك فقال فيهِ (مجزوء الكامل) :

قُلْ للمُكَنّي نفسَهُ متخيّرًا بمتاهِيَهْ
والمُرسلُ الكلِمَ القبيـــحَ وعَنْهُ أُذنٌ واعِيَهْ
ان كنتَ سِرًّا سوأتني او كان ذاكَ علانيهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلا ل وامُّ زيدٍ زانيَهْ

يعني امّ ابي العتاهية وهي امّ زيـد بنت زياد فقيل لهُ : اتشتمُ مسلماً ؟ فقال : لم اشتمه وانّما قلت :

فعليك لعنةُ ذي الجلا لِ ومن عَنينا زانيهْ

وافضلُ من ذلك قولهُ لمّا اوقع هارون الرشيـد بجعفر قال البغداديّ : « ومـا انقضت الأيام حتى قُتل جعفر بن يحيى وصُلب عند جسر بغداد فرأوا ابا قابوس تحت جذعهِ يزمزمُ فاخذهُ صاحب الحرَس وادخلهُ على الرشيد فقال لهُ : ما كنت قائـلاً تحت جذع جعفر ؟ قال : اتتعجّبني منك للصدق ؟ قـال : نعم . قال : ترحّمتُ والله عليهِ . ثمّ انشدهُ يشفع عنـدهُ للفضل بن يحيى (من الوافر) :

أمينَ اللهِ هَبْ فَضْـلَ بنَ يحيى لنفسك ايهـا الملـكُ الهُمامُ (١
وما طلَبي اليك العفوَ عنهُ وقد قَعَدَ الوشاةُ بهِ وقـاموا (٢
أرى سببَ الرضى عنـهُ قويًّا على اللهِ الزيادَةُ والتّمامُ
نذرتُ عليهِ فيهِ صيامَ شهرٍ فان تَمّ الرضى وجبَ الصيـامُ
وهـذا جعفرٌ بالجسر تحو محـاسنَ وجهـهِ ريحٌ قَتـامُ
اقولُ لـهُ وقتُ لـديهِ نصبـاً الى ان كاد يفضحني القيامُ

١) ويروى : أيها الفضلُ الهمامُ
٢) ويروى : وقد قعد الرشاةُ بنا

أمـا واللهِ لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفـةِ لا تنـامُ
لَطُفْنا حول جِذْعِكَ واستلَمْنا كما للناس بالحَجَر استلامُ (١
فـا شاهـدنا قبلك يا ابنَ يحيى حُسامـاً فَلَّـهُ قبـلًا حسامُ (٢
عُقابُ خليفـةِ الرحمـان فخرٌ لمن بالسيفِ عـاقبـهُ الحِمامُ (٣
على الدنيا وساكنها جميعاً لـدولـةِ آل برمـكٍ السلامُ

قال ابن الرشيق في العمدة (ص ٣٣): وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنـه وروِيِّه ومعناهُ احدهمـا لاشجع السُّلَمي والآخر لسليمان (الاعمى) اخي (مسلم بن الوليد) صريع الغواني فالناس فيه مختلفون وهذه صحّتهُ. (قال) فانظر الى تجاسره على مثل هذا الامر العظيم من الشفاعة والرثاء.

واردف البغدادي قائلًا: «ولمّا سمع هارون الرشيد هذه الابيات اطرق ملياً ثمّ قال: رَحِمَ اللهُ يحيى جميلًا فما اجمل به. يا غلام نادِ بالامان الى قـابوس وألّا يُفتّش ». ووصّى حاجبهُ ألّا يحجبهُ عنهُ

هـذا ما رواهُ ابن الرشيق وابو بكر البغداديّ. وقـد ذكر في الاغـاني (١٥: ٣٦) اربعة من اواخر ابيات القصيدة الميميّة السابقة للرقاشي الفضل بن عبد الصمد الشاعر. وروى عنهُ انهُ قـال تلك الاشعار عند جـذع جعفر وان الرشيد احضره كما سرّ الخبر عن ابي قابوس ثمّ سألهُ: وكم كان يجري عليك؟ قال: الف دينار في كل سنة. قال: فانّا قد اضعفناها لك

وقصيدة ابي قابوس مرويّة ايضاً في كتاب جمهرة الاسلام ذات النثر والنظام من مخطوطات ليدن (Ms Leiden, CCCCXI ff. 107) لعميد الدين ابن الفنانم مسلم

---

١) ويروى: بالركن استلامُ

٢) رواهُ في العُمْدة:

وما ابصرتُ قبلك يا بن يحيى حسامًا قدَّهُ السيفُ الحسامُ

٣) ويروى: عانقهُ الحمامُ. ويروى: اوضعهُ الحمامُ ويروى: حسامًا حتفهُ السيفُ الحمامُ

بن محمود الشيرازي أما رواية القصيدة لسليمان الاعمى فوردت في العقد الفريد لابن عبد ربه (٣: ٣٢) على الصورة الآتية نذكرها تتمّة للافادة :

هذا الخالونَ عن شَجْوى وناموا ... وعيني لا يُلائمُها منامُ
وما سَهَري بأني مستهامٌ ... اذا سهرَ المُحِبُّ المُستهامُ
ولكنَّ الحوادثَ أرّقتني ... فبي أرَقٌ اذا انقطعَ الغَمامُ
فقلتُ وفي الفؤادِ ضرامُ نارٍ ... وللعَبَراتِ من عيني انسجامُ
على المعروف والدنيا جميعًا ... ودولة آلِ برمكَ السلامُ
جزعتُ عليك يا فَضْل بن يحيى ... ومن يجزع عليك فلا يُلامُ
هوَتْ بك انجمُ المعروفِ فينا ... وزلَّ بفقدك القومُ اللئامُ
وما قلّمَ الالهُ اخاك لكن ... قضاه كان سَبَبَهُ اجترامُ
عِقابُ خليفةِ الرحمان فخرٌ ... لمن بالسيف صبَّحهُ الحمامُ
عَجِبتُ لما دها فَضْل بن يحيى ... وما عجبي وقد غضبَ الإمامُ
جرى في الليل طائرُهم بنَحْسٍ ... وصَبَّحَ جعفرًا منهُ اصطلامُ
ولم أرَ قبل قَتْلك يا ابن يحيى ... حسامًا قدَّهُ السيفُ الحسامُ
بَرَتْ بن الحادثاتُ لهُ سهامًا ... فنالَتْهُ الحوادثُ والسهامُ
وانَّ الفضل بعد رداء عزٍّ ... غدا ورداؤهُ دالٌ ولامُ
فقل للشامتين بهِ جميعًا ... لَكَمْ اشالها عامٌ فعامُ
امينَ الله في الفضل بن يحيى ... رضيعك والرضيعُ لهُ ذِمامُ
ابا العبّاسِ انَّ لكل همٍّ ... وان طال انقراضٌ وانصرامُ
ارى سَبَبَ الرضاء لهُ قَبولٌ ... على الله الزيادةُ والتمامُ
وقد آليتُ معتذرًا بنَذْرٍ ... ولي فيما نذرتُ بهِ اعتزامُ
بان لا ذقتُ بعدكمُ مُدامًا ... ودوني أن يناولني المدامُ
أأنعمُ بعدكم وأقرُّ عينًا ... عليَّ اللهوُ بعدكمُ حرامُ
وكيف يطيبُ لي عيشٌ وفضلٌ ... اسيرٌ دونهُ البلد الشآمُ
وجعفر ثاويًا بالجسر بَلَّتْ ... تعاشتهُ السمائمُ والقتامُ
أُمرُّ بهِ فيظلمني بكائي ... ولكنَّ البكاء لهُ اكتتامُ
اقول وقتُ منتصبًا لديهِ ... الى أن كاد يفضحني القيامُ

اما والله لولا خوفُ واشٍ وعينٌ للخليفةِ لا تنامُ
لَسَلَّمنا وكنّا جِئْتُ عندكَ واستلمنا كما للناس بالحجر استلامُ

وقد روى في جمهرة الاسلام (3 .f 63) رثاء آخر لابي قابوس قالهُ في اخيهِ سعيد ويروى هناك انَّ الاصمعيَّ فضَّلهُ على شعر محمَّد بن مناذر بل على شعر جرير والفرزدق والاخطل اوَّلهُ (من الطويل):

فما أُمُّ سَقْبٍ اودَعتهُ قرارةً من الارض وانساخت لتَروى وتهجعا

الى ان قال بعد وصف حزن الناقة على حوارها بتسعة عشر بيتاً:

بأوجعَ مني يا سعيدُ تحرُّقاً عليك ولكن لم أجدْ عنك مدفعا
فلو أنَّ شيئاً في لقائك مُطمعٌ صبرتُ ولكن لا ارى فيهِ مُطمعا
فأُقسمُ لا تنفكُّ نفسي شجيَّةً عليك ووجهي حائلَ اللون أسفعا
وقد كنتُ ألحي مَنْ يبكي لمصيبةٍ فها انا ذا قد صرتُ ابكي وأجزعا
وقد قرَّعتني الحادثاتُ وبَثُّها بِشَكْلك حتى لم اجد لي مقرعا
وقد كنتُ مغبوطاً وقد كنتُ مُصعَباً فاصبحتُ مرجوماً لفقدك أخضعا
وقد كنتَ لي أنفاً حمياً فغالني بك القَدَرُ الجاري فأصبحتُ أجدعا
فلو انَّ طوداً من تِهامةَ ضافهُ من الوَجد ما قد ضافني لتَضعضعا
فيا سيِّداً قد كان للحيِّ عصمةً ويا جَبلاً قد كان للحيِّ مَفزعا
رُزيتُ بهِ خير الرزايا ولم أجدْ لهُ خلَفاً في الغابرين فأقنعا
وأبيضَ وضَّاحِ الجبين كأنَّهُ سنا قَمَرٍ أوفى مع العشر أربعا
قطيعَ لسان الكلب عن نَبْح ضيفهِ موطَّأَ اكنافِ الرواقِ سَميدعا
ومجتنباً للقول في غير حينهِ حِفاظاً وقوَّالاً اذا قال مصقعا

يصونُ ببَذْل المالِ نفساً كريمةً وعرضاً حمى عن كل سوء ممنّعا
فتى الخير لم يهجُم بغَدْرٍ ولم يُعَبْ بعَجْزٍ ولم يَمْدُدْ الى الذمّ إصبعا
ولا غابَ إلّا نافسَ القومُ بينهم ولا آبَ إلّا كان للحيّ مِقنَعا
وما زال حمّالًا لكلّ عظيمةٍ الى ان قضى من نحبهِ مذ ترعرعا
فتى كان لا يدعو الى الشرّ نفسهُ فان جاءهُ الشرُّ امتطاهُ فأوضعا
ويركبُ صعبَ الامر حتى يَرُدّهُ على عَقِبٍ منهُ ذَلولًا موقّعا
رأتهُ المنايا خيرَتا فاختَرْمنَهُ وكنَّ بتعجيلِ الأخابر سُرَّعا

ومنها :

تَرى الناسَ ارسالًا اليهِ كأنّما تضمّن ارزاقَ العُفاةِ لهم معا
فمن صادرٍ قد آبَ بالريّ حامدٍ ومن واردٍ شاحٍ بفيهِ ليَكْرعا
ويوماً تراهُ يسحبُ الوَشْي غادياً ويوماً تراهُ في الحديد مقنّعا
اذا نال من اقصى مدى المجد غايةً سما طالبًا من تلك اسني وأرفعا
أَجلّ عن العُور الهواجر سمعَهُ ووقّرهُ مِنْ ان يُقالَ فيسمعا
له راحةٌ فيها حباً لصديقهِ وأخرى سقَتْ أعداءهُ السمّ مُنقعا
فما فُجع الاقوامُ من رُزْئها لكَ بأعظمَ ممّا قد رُزئتَ وأفظعا
ومن طاب نفساً عن اخٍ لوداعه فما طبتُ نفساً عن اخي يومَ ودّعا
فوا عجباً للارض كيف تأَلّبتْ عليهِ ووارَتْ ذلك الفضلَ اجمعا
ويا بؤس هذا الدّهرِ من ذي تلوّنٍ وذي فجَعاتٍ ما أَفظَّ وأفظعا

هذا ما انتخبنا من هذا الرثاء وهو يبلغ ٩٠ بيتاً

(له بقيّة)

نوابغ المدرسة المارونيّة الاولى

المطران اسحق الشدراوي

بقلم حضرة الخوري بطرس غالب (تشئة)

ولما انتقل البطريرك جرجس عميرة الى دار البقاء حضر الشدراوي مجمع انتخاب خلفه البطريرك يوسف ابن حبيب العاقوري وكان مطراناً على صيدا وقد وجدنا اسم المطران اسحق في عريضة طلب التثبيت وفيها ذُكر انه مطران صيدا فاستنتجنا انهُ نُقل الى كرسي تلك المدينة ورسخ ذلك في ذهننا من سيامة الخوري مخائيل سعاده مطراناً على طرابلس في تلك السنة ١٦٤٤

وكان البطريرك الجديد كلفهُ ان يحمل الى الحبر الاعظم عرائض انتخابه وعبارة خضوعه وطلب التثبيت فاعتذر الشدراوي في بادئ الامر ولذلك ارسل البطريرك الخوري يوسف ابن ايليا ابن الطويل الحدثي (١) والراهب مر[illegible] دير مار شليطا مقبس ومن رهبنة مار انطونيوس وهذا الراهب كان شقيق المطران بطرس مخلوف

---

(١) عبد المسيح بن ايليا ابن الطويل الحدثي ارسله البطريرك يوحنا مخلوف الى رومية سنة ١٦٠٨ مع اثني عشر تلميذاً ثلاثة منهم قبرصيون وثلاثة من العاقورة وستة من اهدن. وبعد سنتين مات بعضهم ورجع بعضهم الى الوطن قبل ان يتمّوا علومهم بسبب الامراض وثلاثة فقط اكملوا دروسهم وعادوا الى الوطن وهم يعقوب من العاقورة الذي ترهّب في رهبنة مار فرنسيس وياسين والشماس عبد المسيح المذكور الذي تزوّج قبل ان ينيل درجة الكهنوت. وفي سنة ١٦٣٠ حضر الى بلاد صيدا المطران يوسف العاقوري ابن المطران بطرس ليجمع الذرية. جاء الى مزرعة عين ابل في بلاد بشارة التابعة مدينة صفد وجمع العشور وطلب من جماعة الشماس عبد المسيح الحدثية ان يزوروا بيت العذراء في الناصرة. ولمّا عاد من الزيارة الى عين ابل التمس منه جماعة الحدثية المذكورون ان يرسم لهم كاهناً فرقى الشماس عبد المسيح المذكور الى الدرجات المقدسة ودعاه يوسف. وبقي في هذه الخدمة الى سنة ١٦٤٥ اي السنة التي ارسله البطريرك فيها وهو المطران الذي رسمه كاهناً، الى رومية العظمى ليطلب لهُ التثبيت ودرع الرئاسة فوصلها في ٣ تموز سنة ١٦٤٥ ومن كثرة الضيق التزم هذا الكاهن ان ينتقل الى بلاد صفد. ولم نقف على سنة وفاته

ثم ما لبث الشدراوي ان عزم على السفر الى رومية (ما بين ١٦٤٦ و١٦٤٧) فكلفه البطريرك قضاء بعض مصالح تخص الطائفة لم نعرف من تفاصيلها شيئاً اكيداً انما استفدنا من الحوادث التي تبعت ان الضيق المتواصل كان قد اعيى البطريرك والطائفة من جرى تقلب الاحوال وتغيير الحكام فاوعز الى المطران اسحق ان يتوجه الى فرنسة عن طريق رومية ليلتمس تجديد حماية الملك المسيحي للطائفة المارونية كما فعل اسلافه فيما مضى . فالبطريرك عميرة طلب تلك الحماية بناء على تشويق الاب اميو المرسل اليسوعي فنالها في حين الضيق وقبله كان البطريرك يوحنا مخلوف اوعز الى المطران يوحنا الحصروني ان يسعى للحصول عليها فتوسط هذا الاسقف الكردينال دوبرون (Duperron) سفير فرنسة لدى الكرسي الرسولي (١ وسبق الاثنين الى التماس الحماية البطريرك مخائيل الرزي في سنة ١٥٧٥ فأرسل عريضةً الى الملك هنري الثالث يستنجدهُ ونسخة عريضته هذه ضمنها العلامة السمعاني الى الاوراق التي جمعها في المكتبة الفاتيكانية على ما ذكره هو نفسهُ في لائحة المخطوطات الشرقية

وكان قد زار قنوبين بعد تلك الايام السفير سانتري دِه برف ليقف على احوال الموارنة ويطلع عليها هنري الرابع مليكه وكان ذلك سنة ١٦٠٥

وبعد ان وصل المطران اسحق الى رومية باشر باصلاح الشحيمة (كتاب فرض الموارنة) هو والخوري يوسف الطويل كما صرّح هذا في مقدمة تلك الطبعة وساعد موفدي البطريرك على قضاء مصالح الطائفة ثم قصد الى بلاد فرنسة سنة ١٦٤٨ مسلحاً بمكتوبات من الحبر الاعظم الى الملك يطلب منه مساعدة الموارنة . واما المطران اسحق فلم يحجم عن ان يستندي أكف المحسنين ذوي الجود ومكث في باريس نحو سنة يسعى في غضونها للحصول على مبتغاه فتوسّل الى الملك ان يُجدّد حماية فرنسة للطائفة المارونية لان الجور كان قد ارهقها بل ارهق جميع كاثوليكيي الشرق والمرسلين . وقد وفقه الله الى نيل متمناه فدفعت اليه كفيلة الملك باسم ابنها لويس الرابع عشر براءة ملكية ذكرنا تعريبها في كتابنا «صديقة ومحامية» تاريخها ٢٩ نيسان ١٦٤٩ وبهذه البراءة يضع الملك في حمايته السيد البطريرك والاساقفة والاكليروس وعموم الشعب وخصوصاً

١) قال المطران يوحنا الحصروني في رسالته الى الكردينال الموما اليه ان علائق الموارنة والفرنسيين قديمة وهي ليست علائق صداقة فقط بل اواصر قرابة من عهد الصليبيين

الساكنين في جبل لبنان . وخصت البرآة المطران اسحق بتوصية لمأموري الدولة العثمانية ليبذلوا له المساعدة في كل اموره . وذكر على هامش البرآة انها « أعطيت بناء على توسط المطران اسحق رئيس اساقفة طرابلس »

وفي سفره هذا مرّ بسيراقوزة فمسينة واتى بحراً الى نابولي فرومية . ثم ذهب الى البندقية فبادوى وفرونه ومنتوا مقام دوق مانتوا وكان من المحسنين اليه ومن هناك اتى الى برغامو فميلانو حيث كلفه الكردينال فردريك بورُمِه مطرانها ان يدرّس السريانية وان يجدّد تنظيم مكتبة المدينة الغنية بانواع الكتب والمخطوطات

ثم اتى الى تورينو مقام دوق سابوديا المحسن الى اسقف قبرس الماروني لانه كان يلقب هو ايضاً بامير قبرس كما ترى في المذكرات المرتقية الى ذلك العهد . وفي تورينو مكث اكثر من اربعين يوماً قضاها في دير رهبان القديس عبد الاحد فبعثت اليه قرينة الدوق وهي شقيقة ملك فرنسة خدمةً (مالاً) وزوادته للطريق حتى باريس

ولا يذهلنك ان ترى المطران اسحق يلقب بلقب مطران طرابلس حتى بعد سيامة المطران مخائيل سعاده الحصروني على تلك المدينة لان تلك الالقاب لم تكن لها الزامات حقيقية ثابتة كما نبهنا الى ذلك مراراً . وان سبب ترك المطران اسحق مدينة طرابلس لا تخفى على الباحث فانه كان من اصدقاء الامير فخر الدين وانصاره كبار المسيحيين الذين اجتذبهم الامير بعطفه . فلما انكسرت شوكة الامير قام خصومهُ على انصاره فلاذوا بكسروان بحمى الخازنيين الذين ما زال الامير ملحم يكرمهم وينصت لاقوالهم . وكان الشدراوي باتفاق الرأي مع السيد البطريرك يسعى لتعزيز جانب الخازنيين لعلّهما يستطيعان ان يجعلاهم حكاماً للبلاد مستقلين عن الدولة فيستريحون وقد ذكرنا في « صديقة ومحامية » ما بذل من الجهد في هذه السبيل . فانهما ان لم ينالا للخازنيين الحاكمية فقد توفقا ان يحصلا لهم قنصلية فرنسة في بيروت

وقد سبق لنا ان ذكرنا في حياة البطريرك جرجس عميرة انشاء مدرسة اكليريكية في لبنان كانت قد تداولتها الخواطر وحثّ عليها الحبيس ده شاسطويل وراقت البطريرك جرجس عميرة فكتب الاب امير اليسوعي الى الحبر الاعظم يعرض له هذه الفكرة ويبيّن منافعها . ولا بأس ان عدنا الى هذا الموضوع ثانية فاسهبنا لما فيه من الفائدة . بدأ الاب امير يُعرب عن ارائه لتهدئة بال الموارنة حتى لايتوهموا ان المشروع

يقصد منه التسلط على طائفتهم وتغيير طقوسهم بل انهم اتوا البلاد ليكونوا بمنزلة مساعدين للكهنة في خدمة النفوس وارشادها في طريق الخلاص ولا هم يطمعون بوظيفة كنسية او رتبة شرفية او ولاية على وقف. ويظهر من هذا الكلام ان بعض ذوي الاغراض كانوا يسعون ليقاقوا فكر المارونة فيصورون لهم ان المرسلين الاجانب انما جاؤوا البلاد ليستبدّوا بكل امر ويخضعوا الطوائف الشرقية لسيطرتهم. وتلك اختلاقات لم يتفرد بها ابناء عصرنا بل وجدت في كل مكان وزمان

ثم تطرق الاب اميو الى ذكر المدرسة الاكليريكية فقال:

اظن انه سيروق جدًّا غبطة البطريرك ما كان يرغبه اليه بنوع خاص السيد ده شاسطويل وكانت رغبته هذه معلومة لدى اساقفة الطائفة ومقبولة لديهم ويرتئي الجميع ان من ذلك منفعة سهلة المنال قريبة الحصول وكان المجمع المقدس اراد ان يتمها من زمن بعيد وهو ان يُقام مدرسة اكليريكية لتهيئة الاحداث لمدرسة رومية وراوانًا ليس في جبل لبنان نفسه لسبب حملات الدروز بل في مدينة طرابلس عند سفح هذا الجبل

«وقد علمت من الكتابات الآتية من رومية انهُ يُستبقى شهريًا خمسون ريالًا لمدرسة المارونة الرومانية لان عدد التلاميذ ليس مكتملًا. فهذا المبلغ كاف لتربية عشرين تلميذًا في طرابلس حيث يستطاع تلقينهم القراطيق وآداب الكتابة في السريانية واللاتينية. اما الذين تظهر عدم كفائتهم لاكمال دروسهم اليانية فانهم يُعادون الى اهلهم دون تكبيد نفقات سفرهم والذين ترى فيهم الاهلية يمكن ارسالهم الى رومية او راوانًا لتعلم الفلسفة واللاهوت. ولما كنا قد فتحنا ديرًا في طرابلس واخذ البندقيون وغيرهم يظهرون لنا العطف وكان يعيش معنا الشماس موسى الماروني الطالب الدخول في رهبنتنا وهو يعرف جيدًا السريانية يقرأها ويكتبها حسنًا نستطيع من اليوم أن نمنى هذه المدرسة الاكليريكية. هذا اذا تمت سائر الشروط الاخرى وراق ذلك الكرسي الرسولي. على أنا نفضل أن لا نهتم نحن اليسوعيين باكل التلامذة ولبسهم بل فليهتم لهم السيد البطريرك قيمًا يعنى باعاشتهم وكسوتهم على طريقة بلادهم وله تدفع مرتبات التلاميذ كل ثلاثة اشهر من قبل المدير وأودّ أن نُؤمَر بتثقيف التلامذة حسب عادات رهبانيتنا حتى لا يقول المارونة اننا نأكل مال التلامذة ونحن نتفرغ بنوع افضل للعناية بهم متى جُرّدنا من هذا الهم»

لكن هذه الفكرة لم تتمّ لاسباب لم نتوصل الى معرفتها. فبقيت الحال على ما كانت عليه ولم يفُز تلاميذ رومية بمنيتهم هذه لاننا لا نرتاب في تحبيذهم المشروع بعد

ان رأوا كثيرين من الطلبة يعودون الى اوطانهم قبل نهاية علومهم سواء كان لمرض طرأ عليهم او لاختلاف المناخ والمعاش او لحنينهم غير المعقول الى مسقط رأسهم. فكان المجمع المقدس ينفق نفقات وافرة ليحصل على نتيجة لا توازي ما يتكبده في هذا السبيل

وما كان موافقاً في تلك الاونة لا يزال كذلك حتى اليوم لان الاسباب التي حملت على بسط هذا المشروع ما برحت هي تدفع الى تحقيقه ليقوم مقام المدارس الاكليريكية العديدة التي يختلف نسق احداها عن الاخرى ويفترق تعليم بعضها عن بعض. ولا نتردد في القول ان المطران اسحق الشدراوي كان ممن يرغبون في ان تبرز هذه الفكرة الى عالم الوجود وتنفذ مع ما تتطلبه من التعديل ان وجد ثمت موجب لذلك

وكان المطران اسحق بعد عوده من بلاد الفرنجة قد استأنف اعماله الرعائية زائراً كارزاً مثبتاً مزيلاً الخصومات. وحول سنة ١٦٥٢ زار جهات صيدا وتفقد شؤون الرعية ونعلم ذلك من رسالة للاب يوارسون رئيس رسالة اليسوعيين في سورية في ذلك الوقت ذكر فيها اعجوبة صنعتها والدة الله المجيدة في معبدها في دربشين واثبت حقيقة حدوثها الاستاذ اسحق حين اقامته في صيدا

واليك حكاية هذه الاعجوبة: «حدث ضاعون في تلك الحقبة فهرب السكان عن بكرة ابيهم ولما درى بذلك تركيان كانا مقيمين على مقربة من القرية بادرا الى الكنيسة فخلع احدهما الباب ووثب الآخر على صورة السيدة العذراء وكانت صغيرة ومزقها ارباً ارباً لكنه ما تم ان قضى نحبهُ حالاً في تلك الساعة في المحل ذاته والاول ما كاد يبلغ الى بيته حتى رأى حصانه قد فطس في الليل السابق. وهكذا نال كل واحد منهما جزاء فعلته على قدر ما اشترك بهذا التهجم على صورة والدة الله»

ثم ان السيدة نجت من الوباء احد التجار في صيدا فاصطنع صورة اخرى ووضعها في محل الاولى (نقلاً عن كتاب الاب غودار «مريم في لبنان» ص ٥٢)

وليس عندنا حادث مخصوص نذكره في تلك الآونة سوى ما جرى لابي رزق البشعلاني وعيلته مع حاكم طرابلس (١٦٥٣–١٦٥٤) نرويه باختصار عن الاسانيد التي وقعت في يدنا:

ان ابا رزق ينتسب الى قرية بشعلي مسقط رأسه اتخذه حسن باشا والي طرابلس

كاخيةً له (١٦٤٣) ثم أُقيل بعد عود محمد باشا الارناووط الى الولاية على انهُ عزل ثانيةً في سنة ١٦٤٩ وتولى طرابلس عمر بك فاستعاد ابا رزق الذي نصب اخاه ابا صعب شيخاً على جبة بشري وفي سنة ١٦٥١ كان لا يزال متسلماً امور الايالة الى ان تغلب عليه ابن الصهيوني فنصب مكانه وصادره واضطهد اعوانه. وفي سنة ١٦٥٣ قبض محمد باشا الارناووط على الشيخ ابي رزق لوشايةٍ شكوهُ بها انه جمع بني حبيش في داره لكي يفتكوا بمحمّد باشا ولم يكن داعي الاجتماع سوى الاحتفال بعرس احد اقارب بني حبيش فامر الباشا بالقبض عليهم جميعاً وبسجنهم في القلعة وكانوا تسعين نفساً. اما دار ابي رزق فنُهبت واموالهُ سُلبت ثم ورد الخبر بعزل محمد باشا فتوجه الى حماة لجباية الاموال فاستصحب ابا رزق والسجناء. ثم دعا ابا رزق للحساب عما دخل عليهِ من المال وخوّنه باثني عشر الف غرش على ان الوالي الجديد قره حسن اعاد الحساب فوجد ان المكسور على ابي رزق اربعة آلاف وخمسمائة غرش فقط فدفعها عنه ابن الصهيوني وأخلى سبيله وسبيل السجناء. وكان عزم الوالي الجديد ان يعهد اليهِ بتدبير اموره لكن وصول قبجي من قبل الباب العالي حاملاً الامر بقتل ابي رزق حال دون رغبة قره حسن فاشار عليهِ ان يفتدي حياته فاذعن الى رأيهِ ودفع الف غرش للقبجي فعاد هذا الى الاستانة. اما ابو رزق فرجع الى طرابلس مع الوالي الجديد والتزم منه جبلة واللاذقية وارضى اخاه قبل ان يسافر الى محل التزامه ان يهرب باولاده الى بلاد ابن معن فشقّ ذلك على الباشا فخاف ابو رزق ان يضرّه فتزوج بامرأة موسى باشا. وفي سنة ١٦٥٤ جُعل بشير باشا نائب حلب وزيراً فقصده ابن علم الدين وابن الصهيوني ليعدّا الركبة على الامير ملحم الذي كسرهم عند وادي القرن. واما الوزير الجديد فتوجه الى الاستانة ولما وصل الى ادنه تقدمت اليهِ شكاوى بخصوص ابي رزق انهُ من مناصري ابن معن وانهُ ارسل اولاده الى حكمه فامر الوزير بقتله وجرى ذلك في اوائل اذار من تلك السنة في مدينة ادنه»

اما حالة الموارنة عموماً فوصفها القنصل فرنسوا بيكه بقوله: «قد اوقرت ضرائب الاتراك الفاحشة كواهل الموارنة وهم هدف دائم لمظالمهم. والعذاب يلقاه الاكليرس اشد واعظم ولاسيما في جهة بشري الخاضعة لباشا طرابلس حيث الاديار خربت وبادت»

ولم يرَ القنصل علاجاً نافعاً لهذا الحال سوى حرمان الاتراك الولاية وتسليمها الشيخ ابا نوفل الخازن وكان البطريرك متفق الرأي مع القنصل وكتب مثله الى الملك يطلب الطلب نفسه. وقد كلّف هذه المهمّة الخوري سركيس الجمري الذي كان من تراجمة البلاط الملوكي ومعلّمي اللغات الشرقية في باريس (وقد سيمي مطراناً في ما بعد) لكنهُ لم ينجح في نيل ما طلب من الملك فاقتضى الحال بعد عوده ان يرسل المطران اسحق الشدراوي واليك مختصر رحلته نقلًا عما كتبهُ هو نفسهُ حفظاً لهذه الوقائع (١

سافر الشدراوي باسم البطريرك يوحنا الصفراوي ليأتي بالقنصلية على مدينة بيروت للشيخ ابي نوفل الخازن من لدن ملك فرنسة فركب في ٦ شباط ١٦٦٠ من ثغر طرابلس سفينة فرنسية ربانها يُدعى البارون ريفردوى فبقي في البحر ٢٧ يوماً وصل بعد انقضائها الى ليفورنو. ثم بعد شهر قصد الى بيزا ومنها الى فلورنسة وكان حاكمها الغرندوق فرديناند الثاني ده مديسيس فبرح تلك العاصمة الشهيرة الى سيانا فانتهى الى رومية في آخر يوم من شهر نيسان من تلك السنة. والغاية من تعريجه على رومية كانت ان يلتمس من البابا ان يصدر مكاتيب توصية الى الباشا الى ان الخازن يقدمها الملك فرنسة حتى يرضى بتعيين ابي نوفل قنصلًا للامة الفرنسية في بيروت

وما مضى نصف شهر على اقامته في رومية حتى فشا وبا الطاعون فيها فحجر على سكانها واتخذ مثل هذا التدبير في سائر بلاد النصارى. فاضطرّ المطران اسحق ان يلبث في رومية سنتين لا نعلم حقيقة ما اتاه في خلالها من الاعمال انما نرجح انهُ تخصص بالتاليف فانا نعرف من تصانيفهِ كتاب لاهوت وضعهُ على نسق الاسئلة والاجوبة بحث فيهِ عن الخلق واعمال الايام الستة والفردوس الارضي والخطيئة الاصلية والفردوس والجحيم والمطهر وقيامة الموتى والدينونة الاخيرة وله مقالة لاهوتية مخطوطة في مدرسة مجمع نشر الايمان ولعلها تلك التي وجدناها في دير سيدة اللويزة

ولما كانت غيرته شديدة على طائفته اعتنى كل الاعتناء بامورها في مركز الرئاسة العليا وسعى لينال من الحبر الاعظم الرسائل اللازمة للملك العريق في المسيحية فلم يبخل عليه بها

١) اطلب «رحلة المطران اسحق الشدراوي الى فرنسة في المشرق (٣ [١٨٩٩] : ٩٣٩–٩٤٥) وهناك صورتهُ

ولما تقلّص ظلّ الوباء وفُتحت الطرق برح الشدراوي رومية الى تُرْني فَسبولتو فنولينو فكامرينو فاشراتا ومرّ بريكاناتي الى لوريت حيث يكرّم بيت العذراء مريم عليها اشرف السلام واقام هناك اربعة اشهر الشتاء بسبب الثلج والبرد وكان متقدّماً بالسن اي ابن سبعين سنة ولهذا لم يستطع ان يسافر مستعجلاً . وبعد انقضاء الشتاء رحل الى أوزيمو وبازي وانكونا وسينيغاليا وسيزارو وريميني وراونّا حيث مكث اربعين يوماً في المدرسة التي انشأها القس نصرالله شلق الحاقوري فرقّى مدبّرها القسّ متى بن مخائيل الباني الى الكهنوت وجرجس المقير وبولس الى الشدياقية وكان قد استصحبها قبل هذه السفرة من كسروان ووضعها في تلك المدرسة

ثم رحل من راونّا الى ايمولا فبولونية وهناك ثبّت الاحداث والفتيات على مرّتين فبلغ عدد الجميع نحو ٥٥٠٠ ورسم اكثر من ١٥ شماساً وشدياقاً فأكرمت وفادته في تلك المدينة الى ان برحها الى فلورنسة في هودج استأجره لهُ وكيل المطران ليريحه في سفره . ومكث في فلورنسة ١٧ يوماً في دير رهبان القديس عبد الاحد . وبعد تلك الاستراحة توجه الى بيزا بطريق النهر وواصل السير الى ليفورنو حيث قضى ٢٧ يوماً سافر بعد انقضائها الى مرسيلية على «غليون» انكليزي

واقام في مرسيلية ٤ ايام في دار الخواجه بدوق (ربما بُطق) ابي السيدين كرم واخيه انطون القاطنين بيروت في ذلك الوقت . ثم برح مرسيلية الى افينيون (وكانت المدينة لم تزل ملك البابا) فمكث فيها ١٧ يوماً عند رهبان القديس مار عبد الاحد . ومنها ركب مركباً على نهر الرون الى ليون فبلغها بعد عشرة ايام وقضى فيها مدة سام في خلالها عشرة قسوس يسوعيين وقسًّا عالميًّا . وبعد ذلك سافر الى شالون في النهر وفي تلك المدينة استأجر عربة اوصلته الى اورسّر ومنها الى باريس حيث اقام شهرين ينتظر عود الملك من الحرب (ولم يذكر اي حرب) . ولمّا عاد الملك حظي المطران اسحق بمقابلته بعد ثلاثة ايام فنجح في مسعاه ونال الرتبة القنصلية للشيخ ابي نوفل وبراءتها فخفّ مسرعاً الى مرسيلية مغتبطاً بنتيجة عمله ولاسيما حينما كان يتذكر انه قضى سنة كاملة في باريس في سفرته الاولى قبل ان ينال تجديد الحماية في سنة ١٦٤٩

ولما وصل الى مرسيلية وجد سفينة فلمنكية مسلحة بستة وثلاثين مدفعاً فانتظر ميعاد سفرها ١٤ يوماً فركب البحر ووجهتُهُ طرابلس الّا ان الريح عاكست السفينة

تجاه جزيرة كورسيكا فردّتها الى ميناء ليغرنوتم ما لبثت ان سافرت الى مالطة فوصلتها بعد ستة ايام واقام المطران في تلك الجزيرة خمسة ايام سافر بعد انقضائها الى طرابلس فاستقام سفره ٢٢ يوماً دون ان تزعجهم الريح

ولما بلغ الى طرابلس استأجر زورقاً بسبعة غروش وجاء ليلاً الى جونية ومنها الى زوق مصبح حيث تقيم عائلته. ففرح الشيخ ابو نوفل بوصوله فرحاً عظيماً لاسيما مذ عرف انه آتٍ اليه بالقنصلية وصار له استقبال حافل في كسروان حيث «فلاح كرم الرب بنشاط وعزّز النصرانيّة لا بتعليمه وفضائله وغيرته فقط بل بمساعيه المشكورة لتأييد طائفته وتفريج كربتها»

ولمّا شاع خبر نجاح المطران اسحق اخذ آل خازن يستعدون للاحتفاء بالرتبة التي حصلوا عليها فقُرّر ان تُتلى البراءة في كنيسة بيروت حيث مركز القنصلية. وبعد ثمانية ايام احتشد في الكنيسة الفرنج مع جمع غفير من الموارنة فقرأ امامهم البراءة المؤذنة بتعيين الشيخ ابي نوفل قنصلاً للامة الفرنسية وكان يقال له قنصل الملك في تلك الايام ثم خطب مهنئاً وبارك البزّة الرسمية وهي حلة حمرا والسما القنصل الجديد بين هتاف الحاضرين وتهليلهم. (انظر خبر ابن القلاعي في كتابه «صفة بحيرة»)

وفي ذلك اليوم صنع الشيخ ابو نوفل وليمة حضرها الفرنج والنصارى والمسلمون وكان الفرح شاملاً

وتسلّم القنصل الجديد مهامّ وظيفته في اليوم العشرين من كانون الثاني سنة ١٦٦٣. ولا حاجة بنا الى اطراء صفات الشيخ الكريم فان المطران اسحق الشدراوي يصفهُ بانهُ «قائم بناموس النصارى في نظر الله والاميرين احمد وقرقماز معن»

وقد انهى رواية سفراته بتعداد البابوات الذين رآهم وحظي بمخاطبتهم وهم اقليمس الثامن (١٦٠٤–١٥٩٢) ولاون الحادي عشر (١٦٠٥–١٦٠٤) وبولس الخامس (١٦٢١–١٦٠٦) واوربانوس الثامن (١٦٤٤–١٦٢٣) واينوشنسيوس العاشر (١٦٥٥–١٦٤٤) واسكندر السابع (١٦٦٧–١٦٥٥) وكان لا يزال متربعاً في كرسي الرئاسة البطرسية في الوقت الذي كتب فيه الشدراوي خبر رحلاته

اما البطاركة الذين تولوا الكرسي البطريركي في ايامه فهم سركيس الرز ويوسف الرز ويوحنا مخلوف الذي رسمهُ قسًّا وخوريًّا ومطراناً ثم البطريرك جرجس عميرة

ويوسف بن حليب العاقوري ويوحنا الصفراوي وجرجس البسبعلي ابن الشيخ رزق الله من اعيان زاوية طرابلس

وفي سفره الاخير (١٦٦٠) كان البطريرك اوصاه بان يتعاون مع يوسف الكرمداني على طبع القنقيط (اي الصلوات الفرضية على مدار السنة) في رومية العظمى كما انهُ كان قد ساعد الحاقلي في طبع قسم منه سنة ١٦٥٠

وفي تلك السنة التي استلم فيها الشيخ نوفل القنصلية نقل الله عبده الى راحة الصالحين في مدينة جبيل وكانت الاسفار والاعمال الرعائية قد اضنكته فدفن في مار يعقوب خارج المدينة فعمّ الحزن عليهِ نظرًا لما كان متحلياً بهِ من الفضائل والعلم

وقد مدحهُ جميع الذين عرفوه. فالبطريرك اسطفان الدويهي قال عنه «انه تعب في الوعظ وفي بنيان النصرانيَّة في كسروان» وقال عنهُ في رسالته الى المطران جرجس حبقوق عن العشور «ولا مطارنة هذا الزمان اجلّ من المطران اسحق». ومعلوم ان كان يوجد في ذاك الوقت مطارنة اجلّاء للغاية. فانه كان قاعد بذاته بدون رعية. ووصفهُ المطران جرجس حبقوق بقوله «وكان متسلماً رعية ومهتم بخلاص النفوس لانه كان معلماً ثقيلاً (بارعاً جدًّا) وعند وفاته اولاده استولوا على متخلفاته ولم يعارضهم احد بشيء لا بطريرك ولا غيره»

اما الاب مانيليه فقد سبق لنا ذكر ما نعته به من انه عالم جليل واسقف فاضل حكيم رصين

وقال عنه الاب برارّون في رسالته المؤرخة في سنة ١٦٥٣ انه متفوق بالعلم والفضيلة. ويدلُّك على تحليهِ بهذه الصفات تكليف البطاركة واعيان البلاد اياه قضاء المهمات الصعبة سواء كان في وطنه او في البلاد الاوربية وانكبابه مع كل ذلك على التصنيف من يوم تضلّع من دروسه ورأى انه يستطيع ان يفيد بني جلدته والاوربيين انفسهم وقد سبق لنا ذكر مؤلفاته ونزيد عليها كتاباً له في الاخلاق ذكره المؤرخون ولم نقف لهُ على نسخة

ولما احتفل في رومية بمرور مائة سنة على تأسيس المدرسة المارونية عُدَّ الشدراوي بين نوابغ تلك المدرسة وخُصّص لهُ تقريظ في المجموعة التي طبعتها المدرسة بتلك المناسبة وقد اخذنا عنها نص ذلك التقريظ واليك نصه وترجمته :

Vel hoc uno maximus—Quod Frederico Cardinali Borromeo percarus — In Mediolanensi Accademia— Syriacis et Jurisprudentiæ disciplinis excultus— Eam nactus est gloriam—Ut litterarum parentem dixerint non alumnum — Merito igitur ambigas — Majoremne Insulis contulerit — An retulerit dignitatem.

وهذه ترجمتها :

«حسبه مجداً ايلاً انه كان عزيزاً جداً لدى الكردينال فردريك بورمه ولما كان متضلعاً من اللغة السريانية والعلوم القانونية قد بلغ درجة من الشرف في الجامعة الملية في ميلانو حتى قيل عنهُ انه ابو الاداب لا رضيعها. فيحق لك ان تحجم عن الحكم في ما اذا كان (الشدراوي) نال من الجُزُر فخراً اعظم ام جلّلها بحلة ابهى واجمل»

نفعنا الله بذكرى فضائله وجدّه وعلمه

فائدة : قد اطلعنا على مقالة يراعة الاب فكتاري اليسوعي الاستاذ في المعهد الكتابي استفدنا منها ان المطران سركيس الرزي مطران دمشق الذي ادعاه مجمع نشر الايمان المؤسس حديثاً لدى الكرسي الرسولي لفحص كتب الشرقيين قبل طبعها قد عين رئيساً للجنة لفحص نسخ الكتاب المقدس الخطية العربية وكان الاعضاء منصور شلق الماقوري والابوين هيلاريون رنكاتي وتوما ده نوفارا . ولما توفرت الصعوبات قرر المجمع المقدس ان تترجم النسخة التي قررها المجمع التريدنتيني (Vulgate) وعهد بالعمل الى اللجنة المرقومة التي كانت تجتمع مرتين في الاسبوع في دار المطران سركيس الرزي المذكور في رومية وصدر امر بان يسهّل لهذه اللجنة الاطلاع على المخطوطات الموجودة في المكاتب الفاتيكانية والمادبية والتبسيا . ولما توفي المطران المذكور ٩ اب ١٦٣٨ كان قد صحح ستة كتب حفظت في مكتبة كازاناتي . فاقتضى التنبيه الى ذلك لزيادة الفائدة

تصحيح غلط . وقع غلط مطبعي في ذكر تاريخ سيامة الشدراوي مطراناً فقد جاء انهُ سيم سنة ١٥٢٩ والصحيح ١٦٢٩

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثاني عشر

مشاهير بيروت قبل العرب

لم تخلُ بيروت من مشاهير عظام شرَّفوهـا بآثارهم في الزمن الذي سبق عهـد الاسلام منهم وثنيون ومنهم مسيحيون

فاوَّل من اشتهروا في ايام الدولة الرومانيَّة الا[illegible] القيلقي الذي عاش قبل المسيح بزمن طويـل حتى زعم البعض انهُ [illegible] النبيّ. قالوا ذلك حدساً وانما هو الا وهمٌ لا سند لهُ والعلماء يرجحون اليوم انهُ عاش في القرن الرابع قبل المسيح ولد في بيروت وصار كاهناً للاوثان وانما كان عارفـاً بامور بلادهِ فدوَّن تقاليد قومهِ واخبار وطنهِ فاخذتها يدُ الضياع إلَّا ما نجا منها منقولاً في كتب الفيلسوف الجبيليّ فيلون وفي تاريخ اوسابيوس القيصري لاسيما مـا رواهُ من اساطير القدماء وخرافاتهم

ولعلَّ فينيقيًّا آخر من بيروت اسمهُ ﴿مناسياوس﴾ او منّي (Mnaseas) تقدَّم عهد السيد المسيح روى لهُ القدماء كتاباً في الخطابة وفي المفردات اليونانيَّة

واما بعد المسيح فان بيروت قد تشرَّفت بعددٍ من العلماء منهم فلاسفـة ومنهم لغويُّون وبعضهم فقهاء واطباء

فمن الفلاسفة اشتهر في القرن الاوَّل للميلاد ﴿اغناطيوس ثمّار﴾ (Egnatius Celer) من الفلاسفة الرواقيّين كان مولدهُ في بيروت ثمَّ رحل الى رومية في عهد نيرون

واصاب فيها بعض السمعة بخطبهِ في دواوين المحاماة

وفي اواخر ذلك القرن واوائل القرن الثاني للمسيح في عهد القيصرين ترايانوس وادريان عُرف الفيلسوف البيروتي ﴿هرمبوس﴾ (Hermippus) كان هذا تلميذًا للفيلسوف فيلون الجبيلي وانحاز مثلهُ الى مذهب افلاطون. ألَّف باليونانيَّة كتباً في التنجيم وتفسير الاحلام

وكان قريباً من زمانهِ احد مواطنيهِ الفيلسوف ﴿ثاودورس﴾ المولود في بيروت في اواسط القرن الثاني تشيَّع مثلهُ لمذهب افلاطون في الفلسفة

وفضَّلهُ في الشهرة معاصرهُ ﴿كالڤيسيوس تورس﴾ (Calvisius Taurus) ولد ونشأ في بيروت ثم تخرَّج في رومية واعتنق مذهب افلاطون ومن تآليفهِ كتاب الفرق بين تعاليم ارسطو وافلاطون وشرح بعض مصنَّفات افلاطون وكتب في الاجساد الهيولية والارواح المجرَّدة

ومن مشاهير الكتبة في القرن السادس احد علماء الطبيعة المسمَّى ﴿اناطوليوس بندانوس﴾ (Anatolius Bindanus) كان بيروتيًا والَّف كتاباً في تاريخ الطبيعة في عدَّة مجلَّدات

أمَّا اللغويُّون فاصاب بين الرومان سمعةً واسعة الاستاذ البيروتي ﴿مرقس ڤاليريوس پروبوس﴾ (M. Val. Probus) من اهل القرن الاوَّل للميلاد فبرَّز في المعارف اللغويَّة والفنون الادبيَّة وقد اطراهُ المؤرخ اللاتيني سويتونيوس في كتابهِ عن اللغويين الرومانيين. وقد تفرَّغ پروبوس لتنقيح كتب اللغة وشرح قصائد الشعراء اللاتينيَّين كڤرجيليوس وهوراسيوس وصنَّف التآليف الممتعة في الفصاحة والبيان والخطابة واصول اللغة اللاتينيَّة وخاض في ابحاثٍ اخرى ادبيَّة شاع بها فضلهُ واحرز لوطنهِ بيروت ذكرًا طيباً

وفي زمنهِ كان اللغوي ﴿لوپركوس﴾ (Lupercus) البيروتي المولد اخذ عنهُ الرومانيُّون في عهد كلوديوس قيصر في اواسط القرن الاوَّل فألَّف كتباً عديدة في اللغة اليونانيَّة وكتب ايضاً عن مصر ووصف بعض مدنها

أمَّا الاطبَّاء فلم يُعرف منهم سوى اسطراطون (Strato) البيروتي ألَّف كتباً في معالجة الادواء امتدحها جالينوس في كتبهِ

وقد مرَّ ذكر الفقهاء الذين اشتهروا في بيروت بين اساتذة مدرستها الفقهيَّة الشهيرة اذ كانت في عهدة الرومان الوثنيين وكان هؤلاء يعلّمون فيها ولم يكن اصلهم منها. وسنذكر قريباً الذين اشتهروا منهم في العهد المسيحي

اما مشاهير بيروت المسيحيُّون فمعظمهم ممَّن تخرَّجوا في مدارسها وان لم يُعَدُّوا من مواليدها. فمنهم احد كبار اساقفة الكنيسة الشهير بمجزاته القديس غريغوريوس العجائبي درس في بيروت الفقه الروماني مع اخيه ثاودورس في اواسط القرن الثالث ثم سُقف على مدينة قيصريَّة فردَّ اهلها الى النصرانيَّة

وفي مدرسة بيروت تخرَّج احد شهداء الكنيسة في اواخر القرن المذكور اوفيان او افيان مع اخيه اداسيوس. وُلدا في باغا من اعمال بمفيلية في آسية الصغرى ثمَّ قدما بيروت طلباً للعلوم فانصبَّ اداسيوس على علم الفلسفة والآداب وتخصَّص اوفيان بدرس الحقوق ومنحهُ الله في تلك المدينة نعمة الايمان واضحى فيها قدوة الدارسين لا يأخذهُ في دينهِ لومة لائم الى ان ختم حياتهُ بالاستشهاد في مدينة قيصريَّة فلسطين وكان ذهب اليها ليواصل دروسهُ على احد اساطين العلم الاسقف بمفيل فاوز بركلسيانوس وملك بيروت حكَّامها في معاضدة النصرانيَّة رأوقعهُ حاكم المدينة اوربانوس وعرض عليهِ جحود ايمانهِ فأبى كل الاباء فقُتل شهيداً(١)

وفي بيروت ايضاً درس في القرن الخامس اخوان آخران اسمهما يوحنا واركاديوس نشر الخوري الالماني جورج غراف (G. Graff) قصَّتهما العجيبة (في المشرق ١٢ [١٩٠٩] : ٦٩٥—٧٠٦) عن احد مخطوطات المكتبة الفاتيكانيَّة القديمة المكتوب سنة ٨٨٥ م

وقد افادنا المؤرخ زكيّا الخطيب في ترجمة ساويروس الانطاكي انهُ درس معهُ الحقوق الرومانيَّة في بيروت في اواخر القرن الخامس للمسيح واتانا في تاريخهِ بعدَّة معلومات عن مدرسة بيروت الفقهيَّة واساقفتها وسيرة طلبتها وعن طريقة التعليم في معاهدها ونظامهِ

١) اطلب تفاصيل اخبار حياتهِ وموتهِ في المشرق (٩ [١٩٠٦] : ٦٨٤ و ١٠٧٦) بقلم الطبيب الذكر الاب فردريك بوفيه احد اخوتنا المرسلين والمتوفَّى شهيد محبَّتهِ في خدمة الجيوش في الحرب الكونيَّة سنة ١٩١٦

أمّا اساتذة بيروت النصارى الذين اشتهروا بالتعليم في مدرستها الحقوقيّة فكثيرون منهم في اواسط القرن الخامس ﴿اودكسيوس﴾ لهُ شروح على متن بعض الكتب الفقهية . خلفهُ في التعليم ابنهُ ﴿لاونتيوس﴾ الذي ورد ذكرهُ في تاريخ زكريّا الخطيب السرياني بين اخبار ساويروس الانطاكي سنة ٤٨٧ فعلّم نحو خمس عشرة سنة ثمّ رُقّي الى مناصب دولية شريفة كحاكم ديوان الشرق (præfectus prætoru) ورئيس العسكر (magister militum) وخوّلهُ الامبراطور انستاس رتبة البطارقة (١

واشتهر في القرن السادس بين اولئك الاساتذة الفقهاء ﴿ديوستيانس ودُمنيتوس وكيرلّس﴾ وقد أَلّف هذا الاخير دليلًا لتعليم الحقوق كان الطلبة يتهافتون عليهِ لحسن نظامهِ ووضوحهِ

واشهر منهم ﴿اناطوليوس ودوروثاوس﴾ اللذان استدعاهما الامبراطور يوستنيان لاعادة النظر في الشرائع الرومانيّة وتنقيحها وتنظيمها وتبويبها كما مرّ فاستحقّا شكر الملك وكلّ الاساتذة والمتعاطين فنّ المحاماة

ولم يُذكر في بيروت الى أيّام العرب سوى عشرة اساقفة (راجع مقالتنا في اسقفيّة بيروت (في الشرق ٨ [١٩٠٥] : ١٩٣–١٩٦) اوّلهم كوَرْتوس تلميذ الرسل وعاشرهم ثلاسيوس في القرن السادس واكثرهم شايعوا لاحدى بدعتي اريوس او اوطيخا اللهمّ الّا تيموثاوس احد آباء المجمع القسطنطيني الاوّل (سنة ٣٨١) ويوحنّا في اواخر القرن الخامس الذي ناصبَ بعض الاشرار الذين كانوا يتعاطون اعمال السحر في بيروت وهو الذي ساعد الناسك رُبولا السيناطي في بناء دير في الجبل قريباً من بيروت . كما ذُكر في الميناون اليوناني في اليوم ١٩ من شباط (٢

وفي الميناون المذكور في اليوم التاسع من تشرين الثاني ذكر القديسة ﴿مطرونا﴾

---

١) اطلب ترجمة ساويروس في مجلة الشرق المسيحي ; (ROG, IV, 343; 543 et V, 71 (293 ثمّ مقالة المسيو كولينه (M. P. Collinet) عن لاونتيوس المذكور C^rs R^us de l'Acad des Insc. et Belles Lettres, 1921, p. 77-84

٢) اطلب اعمال القديسين للبولنديين (Acta Sanctorum, 19 Février, p. 136-137)

التي شيَّدت مع ابنتها تاردوطا في حمص اولًا ثم في بيروت ديرًا للراهبات تقدَّست فيها عدَّة عذارى

فهؤلاء بعض الذين وجدنا لهم آثارًا في بيروت ولا جرم انَّ كثيرين غيرهم شرفوها باعمالهم فُقدت اخبارهم مع ما اخنى عليهِ الدهر واضاعهُ

البحث الثالث عشر

خمول بيروت بنكبات الزلازل

انَّ المقام الرفيع الذي بلغتهُ بيروت في عهد الرومان بترقيها المدنيّ والادبيّ جعلها في مقدمة مدن الشرق تمشي الثنيان مع انطاكية والاسكندريَّة. وكان بصرُها يطمح الى ما فوق ذلك لولا ما دهمها من النكبات في اواسط القرن السادس للميلاد نعني بذلك الزلازل الهائلة التي حلَّت بها في تلك المدَّة ولاسيما زلزال سنة ٥٥١ م الذي أهبطها الى الدقعاء وشوَّه كل خاص بها فأصبحت اشبه بتلال من الردم والخراب (١

على انَّ ذلك الزلزال لم يَخلُ من سوابق انذارت غير مرَّة البيروتيين بالخطر الذي يتهدَّدهم ليكونوا منهُ على حذر

واوَّل زلزال ورد فيهِ ذكر بيروت رواهُ المؤرخ اليوناني تاوفان في السنة ٥٨٣٤ للعالم وقال هناك انَّها توافق السنة ٣٣٤ للميلاد (٢ ثمَّ وصف الزلزال بما تعريبهُ:

«وفي اثناء ذلك حدث في بيروت من مدن فينيقية زلزلة هائلة خرب بها قسم كبير من المدينة فذُعر بسببها كثيرون من المشركين الذين هناك وطلبوا الدخول في الكنيسة واعدين بحفظ رسوم الدين النصراني. لكنهم بعد فروغ الخطر عدلوا الى رتب دينية مختلطة تقلَّدوا فيها رتب الكنيسة»

وما لبثت بيروت فاصلحت شؤونها ورتَّمت ابنيتها وعادت الى ما كانت عليهِ من العزّ والبهاء.

وذكر مؤرخو اليونان زلزالين آخرين في سنتي ٤٩٤ و٥٠٢ دمَّرا سواحل

---

١) اطلب في المشرق ٢ [١٨٩٩]: ٩٧١) مقالة حضرة الاب لامنس «الزلازل في بيروت»

٢) هذا الحساب على بناء انَّ وقوع سنة الميلاد في ٥٨٠٠ للعالم واتاريخ القسطنطيني يجعلهُ عادةً في السنة ٥٨٠٨

الشام وقوّضا مدينتي صور وصيداء إلّا ان بيروت لم ينلها من تلك الآفة الّا ضررٌ قليل اخصُّهُ سقوط كنيس اليهود فيهـا في ٢٢ آب من السنة ٥٠٢ على مـا رواهُ المؤرّخان زوناراس ومالالا

وكأنَّ تلك الكوارث كانت كمقدّمات لشرور اعظم توالت في فينيقية عموماً وبيروت خصوصاً في اواسط القرن السادس . وكان اوفرها تأثيراً واوسعها خرابـاً الزلزال الذي حدث سنة ٥٥١ للمسيح وقد فصّل المؤرّخون خبر تلك الجائحة الهائلة التي عمّت مدن ساحل الشام ودمّرت كلّ انحاء بيروت وابنيتها قيل انَّ البحر جزَر الى مسافة ميل من الشاطئ ثمَّ ارتدَّت امواجهُ كطود شاهق واغرقت كل السفن ثمّ انقضّت على البلد فلم يسلم منها بناء. قال ميخائيل الكبير في تاريخهِ (٢ : ٣١١) :

« لمّا حدث ذلك الزلزال في بيروت ومدن فينيقية اندحرت المياهُ بأذن الله الى مسافة ميلين فانكشفت اعماق البحر وظهرت فيهِ سُفن مشحونة بالبضائع ومال كثير فحمل الطمع الاهلين ولم يردّهم الخوف فتقاطروا ليحرزوا تلك الكنوز فحملوها راجعين بسرعـة الى دورهم واذا بالمياه عادت بغتة فاغرقتهم جميعاً . اما الذين كانوا على الساحل فهربوا لينجوا بنفسهم من الغرق إلّا ان جدران الابنية المتساقطة بفعل الزلزال قتلتهم فماتوا تحت الردم وانتشر الحريق في المدينـة بعد خرابها مدّة شهرين فحوّل مبانيها الى رماد وحجارتها الى كلس »

دُكّت ابنية بيروت الشامخة واصبحت قاعاً صفصفاً وهلك تحت انقاضها جمٌ غفير من الاهلين والاجانب الساكنين فيها . وقد اذاقت المنيّة كأسها المرّ نخبة الشبّان المتقاطرين اليها لدرس الحقوق في مدرستها الرومانيّة التي كانت تاجاً بهيًّا على مفرقها تُباهي بهِ اعظم المدن اخواتها

ولم يرضَ ارباب الامر ان تبقى في قبرها فاسرعوا الى اصلاح ابنيتهـا وترميم معاهدها وكانوا في اثناء ذلك نقلوا مدرستها الفقهيّة الى صيداء ثم اعادوها الى بيروت بعد سنين قليلة على الرغم من زلزال آخر حـدث سنة ٥٥٤ . ثم عـادت الامور الى مجاريها واخذت الدروس تسير سيرها القانونيّ بحيث استبشر الناس ببلوغها عظمتها السابقة واذا بحريقٍ هائل نشب في احيائها سنة ٥٦٠ فكان لها كثالثة الاثافي وختام هلاك المدينة في ذلك القرن فصرخ احد المعاصرين يرثيها وجعل الكلام عن لسان بيروت فقالت :

« ويلاه انا اشأم المدن حظًّا واسوأها حالًا رأت عيني جثث ابنائي متراكمةً في ساحاتي دفنتين في ظرف تسع سنين رماني فولكان (اله النار) بسهامه المتقدة بعد ان صدمني نبتون (اله البحر) بتياراته الهائل. وأسفي على جاني السابق طمسهُ الدهر فأحالني الى رماد. فيا عابري الطريق ابكوا لسوء طالعي واندبوا بيروت المضمحلَّة »

وبقيت بيروت مسجَّاةً بكفنها مطمورة تحت رمادها ردحاً من الدهر كما اشار الى ذلك السائح انطونين المعروف بالشهيد لمَّا اجتاز بجوارها في اواخر ذلك القرن السادس قال :

« وصلنا الى المدينة الفانتة الجمال بيروت التي فيها كانت قبل هذه السنين تلك المدرسة الحقوقيَّة الذائعة الصيت . وهي الآن قد استولى عليها الخراب ». والحقُّ يقال انَّ بيروت بعد تلك النكبة لم تَعُد الى رونقها السابق مع نهضتها في القرون الوسطى في عهد الصليبيين وفي زمن ممالك مصر . فبقيت كمدينة صغيرة حتى اشرق عليها نور القرن التاسع عشر فنفضت عنها ثوب خمولها وجلست ثانية على منصَّة المجد . والامل معقود على رقيها الثابت بفضل فرنسة وليَّة امرها وصديقتها وحاميتها

(يتبع)

لائحة للاصطياف في لبنان

لجناب المهندس اميل افندي خاشو

لمَّا عُرضت قبل ثلث سنين ميزانيَّة لبنان الاقتصاديَّة ولحظنا عجزها البالغ الى ما يزيد عن ٥٠٠ مليون فرنك ألححنا في لزوم تنمية الاستنتاج بالفلاحة ورأينا انَّ في ذلك النجاة من موقفنا الحرج . وهاك اليوم قد دخل في الحساب عاملٌ غير منتظر لعلاج دائنا الاقتصادي وإنْ ذاك الَّا الاصطياف . ولسنا نجهل ان الاصطياف لا

« ويلاه انا اشأم المدن حظًّا واسوأها حالًا رأت عيني جثث ابنائي متراكمةً في ساحاتي دفنتين في ظرف تسع سنين رماني فولكان (اله النار) بسهامه المتقدة بعد ان صدمني نبتون (اله البحر) بتياراته الهائل. وأسفي على جاني السابق طمسهُ الدهر فأحالني الى رماد. فيا عابري الطريق ابكوا لسوء طالعي واندبوا بيروت المضمحلَّة »

وبقيت بيروت مسجَّاةً بكفنها مطمورة تحت رمادها ردحاً من الدهر كما اشار الى ذلك السائح انطونين المعروف بالشهيد لمَّا اجتاز بجوارها في اواخر ذلك القرن السادس قال :

« وصلنا الى المدينة الفانتة الجمال بيروت التي فيها كانت قبل هذه السنين تلك المدرسة الحقوقيَّة الذائعة الصيت . وهي الآن قد استولى عليها الخراب ». والحقُّ يقال انَّ بيروت بعد تلك النكبة لم تَعُد الى رونقها السابق مع نهضتها في القرون الوسطى في عهد الصليبيين وفي زمن ممالك مصر . فبقيت كمدينة صغيرة حتى اشرق عليها نور القرن التاسع عشر فنفضت عنها ثوب خمولها وجلست ثانية على منصَّة المجد . والامل معقود على رقيها الثابت بفضل فرنسة وليَّة امرها وصديقتها وحاميتها

(يتبع)

لائحة للاصطياف في لبنان

لجناب المهندس اميل افندي خاشو

لمَّا عُرضت قبل ثلث سنين ميزانيَّة لبنان الاقتصاديَّة ولحظنا عجزها البالغ الى ما يزيد عن ٥٠٠ مليون فرنك ألححنا في لزوم تنمية الاستنتاج بالفلاحة ورأينا انَّ في ذلك النجاة من موقفنا الحرج . وهاك اليوم قد دخل في الحساب عاملٌ غير منتظر لعلاج دائنا الاقتصادي وإنْ ذاك الَّا الاصطياف . ولسنا نجهل ان الاصطياف لا

يدخل في حيز العمل بالفلاحة لكنَّهُ شبيه بهِ بما يؤدّيهِ للجبل من المبالغ المالية فانَّ لبنان قد ربح بهِ في الصيف الماضي مـا يساوي خمسين مليوناً من الفرنكات وذلك ما يضيف على مالية لبنان الكبير

فهذا ما حدا بنا الى كتابة فصل في شأن الاصطياف ليقف القرَّاء عمَّا يستفاد بهِ من المنافع التي بها يُسَدّ بعض الخلل من تأخر الصناعة في لبنان وبذلك نستطيع ان ننظر الى مستقبلنا بثقة واطمئنان

مرَّت علينا سنتان منذ صرف ذوو الامر نظرهم الى تنشيط الاصطياف فأتى فعلهم رهين الاشارة بل فاق املهم في العام الماضي. وذلك ما يستدعي اهتمامنا لئلَّا تخمد هذه الحركة فلا نكتفي بالصراخ والجلبة بل نسرع الى العمل فنضع اليد على الجراث. ولا يخفى علينا انَّ اللبنانيين ذوو جدّ ونشاط يتلقَّفون الفُرَص للربح السريع لكنها ستفوتهم ان لم يُراعوا الاحوال ويسعوا في تحسينها. فلا يكفيهم ان يحوّلوا الى منازل للسكنى اصغر الفنادق واحقر الخانات. ان لم يضمُّوا القوى جميعهم رجالًا ونساء لاتخاذ الوسائل الفعَّالة لتنظيم احوال الجبل وتوفير اسباب الهناء التي من شأنها ان ترغب المصطافين الى سكناه

وها نحن نبسط هنا رأينا في هذا الامر الهامّ ليبحث فيه اصحاب الرأي العام فيقفوا على احسن الوسائل واقربها للفوز بالمرام. وتسهيلًا للامر نقسم كلامنا الى ثلثة اقسام نخصُّ القسم الاوَّل بمنطقة الساحل من خلدة الى جونية وجبيل. ونفرد القسم الثاني للجبل. وفي الثالث نتكلَّم عن زحلة وبعلبك ومدن الداخلية. وانَّما نبتدئ بالبحث عن الامور العمومية التي تشمل كل انحاء الاصطياف

١ مسائل عمومية في الاصطياف

انَّ الاصطياف في لبنان لا يقوم الَّا بالتجوُّل في انحائهِ. ولا تجوُّل دون وسائل للتنقل والمواصلات. فلا بدَّ اذن من شوارع وطرق وهذا كلُّهُ يتمُّ فقط بالمال والنفقات

ولا يكفي لذلك ما كان ينفقهُ اجدادنا. فانَّ ما ندفعهُ اليوم في احد مشروعاتنا كان اجدادنا يستطيعون ان يعملوا بثمنهِ معاملةً واسعة

﴿الضرائب﴾ ولقائل ان يقول واين نجد المال للقيام بهذه النفقات ؟ الوسيلة الاولى والكبرى هي زيادة الضرائب . ولا عجب فان الدول اصغرها واكبرها لا تحيا الّا بما تقوضهُ على سكّانها من الضرائب . ثمّ انّ الضرائب في لبنان بالنسبة الى ما يدفعهُ الاوربّي لدولتهِ كادت لا يُعبأ بها . وما لا شكّ فيهِ ان المثرين بيننا لايدفعون من الضرائب ما يوازي ثروتهم ولاسيما انّ الاغنياء في بلادنا كثيرًا ما كانوا يحرّرون نفوسهم من أداء الضرائب إمّا بالرشوة وإما بالمجاملة والنفوذ حتى انهُ ثبت انّ ثلث الضرائب كانت تبقى في اكياس اصحابها

فان شئنا اذًا ان نُنظّم في عداد الدول المتمدّنة فلا مناص من تضحية المال والتفاني في سبيل الخير العام . وعلى ارباب الثروة ان يُقبلوا بطيب الخاطر على هذه الخدمة لوطنهم ناظرين الى ما يتكبّدهُ اخوتهم الاوربيون من الضيق في جانب المساعدة العموميّة حتى انّ «شدّة لعب الورق» التي تباع في بلادنا بفرنك تكلّف الاوربّي عشرة فرنكات مع كونها مصنوعة في بلاده

وهنا دعوني اقصّ عليكم استطرادًا ما حدث لي في باريس قبل اربع سنوات . استدعتني احدى الشركات الكبيرة التي مكتبها في شارع سان جرمان فاخبرتني انّ الحوض السامي التمس منها ان تباشر بعض الاعمال في سوريّة وخصوصاً في شارعي فوش وألنبي في بيروت . فسألوني ما رأيي في ذلك وكم يُباع متر الملك المربّع فاجبتهم ان اصحاب الملك يطلبون في المتر من ٤٠ الى ٤٤ ليرة مصريّة ماكان يبلغ وقتئذٍ الى ٢٥٠٠ فرنك تقريباً . فما سمعوا هذا حتى نفروا من ذاك المشروع صارخين انّ شارع سان جرمان ذاتهُ في باريس لا يساري هذا الثمن واين منهُ شارعا فوش وألنبي ؟ فكانت النتيجة انّهم رفضوا الشغل بتاتاً

وقد أدّت حالتنا الماليّة الى امرين غريبين فانّنا نستقرض المال بربّي يبلغ ٢٠ الى ٢٥ في المئة ونضع رأس مالنا في المصارف بواحد بل بأقلّ من واحد في المئة . وذلك بمنتهى الغرابة

وما لا شكّ فيهِ ان ميزانيّة لبنان الكبير لا تفي بمشروعاتهِ العموميّة كما لا تقوم ميزانيّة البلديّة بنفقات اعمالها . فانّ لبنان الكبير يمنح للنافعة ستة ملايين من الفرنكات من ميزانيّتهِ البالغة ٤٠ مليوناً يزاد عليها مليون آخر للزراعة . وهذا المبلغ دون القليل

لا يكاد يفي بالاشغال البسيطة ولستر عيوبنا . فانّي لهُ ان يساعد على نهضة البلاد وترقيتها . فها ان الاصطياف قد اكسب لبنان في العام الماضي خمسين مليوناً من الفرنكات . أفلا يجوز للحكومة ان تخصّ منها بواسطة الضرائب خمسة ملايين تُصرَف في المشروعات العموميّة وفي الخير العام ؟ وان نَفَرَ اللبنانيّون من ذلك فقُلْ على وطننا السلام

﴿القرض﴾ على انّ الضرائب ذاتها لا تَسُد حاجاتنا فلا بُدّ من الاستقراض لكنّ الاستقراض لا يتمّ إلّا اذا تأكّد القارض انهُ سينال ربحاً من وراء قرضهِ . والضرائب العموميّة هي التي يُرهَن بها قرضهُ

على انّ القرض الذي تكرّر فيهِ القال والقيل لم يتقرّر حتى اليوم اذ لم يتّفقوا على اي عملةٍ يُستند القرض أعلى الذهب ام الورق ؟ يريدون نقوداً ثابتة القيمة والذهب وحدهُ على رأيهم هو ثابت القيمة . وفي قولهم هذا نظر لان النقود الذهبيّة عينها لا تخلو من التقلّبات وربَّ دولةٍ قريبةٍ منّا لم تنل بها مرغوبها . ثمّ انّ الورق كما يهبط يمكنهُ ايضاً ان يتصاعد ثمنهُ فيبلغ الى قيمة ثابتة وعلى كل حالٍ لنا اسوةٌ بفرنسة التي تخاطر بماليّتها ولعلّها قريباً تقوى على تمكين ماليّتها فان مشينا معها وجدنا لنا ضميناً لاقتصادنا فلا نؤخّر مشروعاتنا التي نؤمل منها سدّ عجزنا المالي

﴿المشروعات اللازمة﴾ فان افترضنا القرض المذكور دونك الاعمال التي تسترعي النظر بعد تخصيص ٤٠ الى ٥٠ مليوناً لاعمال السقي والزراعة واوّل كل ذلك ﴿الأنزال﴾ . فانّ الافراد الذين كنّا ننتظر منهم القيام بهذا العمل لم يحقّقوا املنا فلا بُدّ من قيام الحكومة بهذا المشروع الجلل . وقد اراد حاكم لبنان الكبير ان يفضّ هذا المشكل فاستدرك الامر في بيروت وحدها والّف في ذلك الشركات فقامت بهمّتها ابنية جديدة تصلح لسكنى المصطافين والمسافرين

لكنّ الجبل في حاجة ماسّة اليها فان كانت هذه الأنزال قد كفت للعام الماضي فانّها ستضيق قريباً على المصطافين فلا بُدّ من اعداد غيرها . افيكفي في كل بلدة نُزُل او نُزُلان لكل منها مئة غرفة ان بلغ عدد المصطافين ١٥،٠٠٠ وان تزايد هذا العدد حتى يبلغ ٣٠،٠٠٠ او ٤٠،٠٠٠ فهيهات ان يفي لبنان بالغاية المنشودة

فعلى الحكومة اذن ان تطلب حلّاً لهذه الأزمة ولا نرى في الضرائب التي

وضعتها على المقامرات سدًّا كافياً لهذه التلمة مع نفور كل الادباء عن السماح بها لانها تشين سمعة لبنان. ومن ثمّ سُرَّ ارباب الدين والادب لمّا أبطل الحاكم العامّ الرخصة بالمقامرة واقفل دورها. والحقّ يقال انّ هذا الداء العُضال كان أصبح حجر عثرة في سبيل العموم ليس فقط اغنياء القوم ولكن ايضاً العَمَلة وذوي الحرف والصنائع فكانوا يدخلون تلك المعاهد فيصرفون رواتبهم حول البساط الاخضر بل يرهنون ما لديهم من المال حتى أثاث بيوتهم ويعرّضون عيالهم للفقر المدقع

فليس اذن الارباح التي تُنال من ترخيص هذه المقامرات ولا يقولنّ احد انّ الانزال في حاجة اليها لتقوم بمعاشها فهذا قول لا سند لهُ . وكذلك لا صحّة لزعم الزاعمين انّ الغرباء يحبّون هذه المقامرات والصواب انّ معظم الذين يتعاطون اللعب انّما هم الوطنيّون الذين نُفث فيهم هذا السمّ وجعلوا المقامرات ديدنهم واكسبوا الوطن سمعةً سيّئة في اعين المصطافين

وعلى كل حال ان كان لا يمكن حسمُ الداء فلتُحصَر حدودهُ لئلّا ينتشر داؤهُ وتتّخذ الوسائل لكبح جماحه وان امكن ان يستفاد منهُ بعض الخير لمنفعة العموم كما في باريس حيث رضعت الحكومة ضرائب على المراهنات (Pari-Mutuel) تخصّها لمساعدة الاعمال الخيريّة

وقبل كلّ ان لم ترَ الحكومة بُدًّا من فتح مكان للمقامرات فلتتخذ لذلك محلًّا رسميًّا مجهّزًا لتلك الغاية لا يدخلهُ غير اهل الثروة دون الرعاع والعُمّال وسائقي العربات. كما صرّح لي بذلك احد المصطافين المصريين. اقول هذا لا تحبيذاً للمقامرات بل اختياراً للشرّ الاخفّ بين الشرّين

دَعْنا نعود الى موضوعنا فندلّ على توزيع المالية لتنشيط الاصطياف

﴿الطرق وتوثيرها﴾ لتحجير الطرق وتوثيرها شأن عظيم وذلك يقوم خصوصاً باختيار الحصى الذي تنعمهُ المحادل الضخمة فيتحوّل الحصى الى مسحوق ناعم ينتشر في الهواء فيعمي السابلة بغباره او يشوّه بشرتهم لاسيما بعد الحرب وقد توفّرت في مدننا السيّارات والاوتوموبيلات

وقد ثبت اليوم بالتجربة ان الحصى المأخوذ من الحجارة الكلسيّة لا يوافق لتوثير الطرق وتمهيدها لوفرة ما يثور في الجوّ من غباره فيجب العدول عنهُ الى

الحجارة البركانيَّة سواء كانت من الغرانيت او من الحُمَر وكلاهما قريب المنال تنقلهُ المراكب مع اعتدال ثمنهِ

فلنقابل الآن ما يكلّف التحجير بالحجارة الكلسيَّة وبالحجارة البركانيَّة ولنعتبر مثلًا طريق بيروت الى عاليه مباشرة من فرن الشبَّاك عند رأس التراموي والمسافة بينهما ١٥ كيلومترًا و ٦ امتار عرضاً. فان المتر المربَّع باعتبار سمك الحصى ١٢ سنتمترًا يكلّف ٩٠ قرشاً سوريًّا بالحصى الكلسي و ٣٣٠ قرشاً بالحجر البركاني اعني انَّ كلفتهُ تبلغ تقريباً اربعة اضعاف الحجر الكلسي فتكون كلفة تحجير طريق بيروت عاليه ١٣٥٠٠ ق س بالحجر الكلسي و ٤٩٥٠٠ بالحجر البركاني لكنَّ الحجر الكلسي لا يثبت اكثر من سنة واحدة بينما يداوم الحجر البركاني على الاقلّ ثلاث سنين ونصفاً ويغنينا عن الغبار فالفضل اذن لهُ على الحجر الكلسي

ومن هذا يلوح اضطرارنا الى ماليَّة كبيرة مدَّة اربع او خمس سنوات متتالية الى ان تُصلح طرقنا العموميَّة البالغة ٤٠٠ كيلومتر فيرتاح المصطافون الى نظرها والسير فيها. وهذا المبلغ على رأينا ينبغي ان لا يقلّ عن مليون ليرة سوريَّة اي نحو ٢٥ مليوناً من الفرنكات. فمن هذا القبيل لا مناص من افتتاح قرض باسرع وقت . فالعمل العمل فقد شبعنا من الكلام والمفاوضات الفارغة

٢ بيروت والاصطياف

معلوم انَّ المصطافين والسيَّاح لا يقصدون بيروت إلَّا ليقضوا فيها يوماً او يومين بل ساعات قليلة فهي في طريقهم اشبه بالمحطَّة في السكك الحديديَّة ينزلون فيها ريثما يواصلون مسيرهم الى الجبل او الى الداخليَّة

ولكن ناشدتك الله ألا تستحقّ عاصمتنا ان تتوقف زمناً اطول أبصار الزوَّار لما خصَّها الله به من المناظر الجميلة كحسن الموقع وانبساط الاحياء على الرُّبى متدرّجةً وواجهة البيوت العامرة والقرب من البحر واشراف الجبال المحدقة بها وطيب هوائها. فلا جرم انَّ ذلك كلَّهُ من شأنهِ أن يبهج الناظر. لكنَّ هذه المحاسن كلها مطموسة بما يلقاهُ الغريب في شوارعها من الاوساخ وقلة النظام فانَّ بعض احياء البلد تتراكم فيها الاقذار ولا ترى للعموم حديقةً يقرُّ اليها نظرهُ ولا شجرة يستريح في ظلّها. نعم

انَّ هذا كان حظّ بيروت خصوصاً في العهد التركيّ لكنَّ الداء لم يُعالج العلاج الكافي بعد الحرب بما يُنسب الى بلديَّتنا من التقاعس ولعلَّهُ لا يُرجى لهُ شفاء الى ان يهتمّ وجوه البلد بعلاجهِ فيسعون الى اختيار رجال ذوي همَّة وإقدام يقومون بواجباتهم في المجلس البلدي

قل لي رعاك الله اي ُ ترقٍ ونجاح يؤمّلان من مجلس بلدي يدخلهُ العطّارون وباعة الخيل ولا وجود بينهم لمهندس وعالم بالبناء . نعم انَّ بين المستشارين البلديين من شعروا بهذا النقص وعرضوا اصلاحهُ . الَّا انَّ صوتهم كان كضربة في الماء او نفخة في الهواء . واحسن طريقة لتحسين ادارة البلديَّة ان يُختار اعضاؤها مناصفةً كما في الاسكندريَّة قسم منها منتخب وقسم معيَّن

ومن المعلوم ايضاً ان ادارة النافعة التي تعيَّنت منذ زمن قليل للاشغال العموميَّة غير كافية ولاسيما ادارة الهندسة البنائيَّة التي لا يكاد يُعرف لها وجود والنافعة هي التي تتولَّى اشغال الهندسة فتأمر وتنهي وتصدّق على رسوم البناء واطرازهِ وتشيّد المعاهد العموميَّة وليس في دائرتها رجلٌ مسئول . وقد علمت انَّها ترخّص لشارع فوش بالسير في ذات الهندسة الحرفيَّة فشيّدت لها الابنية الالمانيَّة العريضة

ثم ان ادارة النافعة مرتبطة بالمجلس البلدي في كل امورها حتى انها لا تستطيع ان تصرف اي مبلغ كان دون مضبطة منهُ . فينتج عن ذلك اضرار جمَّة فانَّ ادارة الاشغال العموميَّة تحتاج الى استقلال تامّ فتُعيَّن لها ميزانيَّتها الخاصَّة مع وضع لائحة مدقَّقة للاشغال المطلوبة كاصلاح الابنية وتنظيم الشوارع وانشاء الاقنية لتصريف الاقذار ومجازر الخ

فمن اراد ان يدرك سوء حالة الهندسة البلديَّة عليهِ ان يتفقَّد أحياء المدينة المستجدَّة فيجدها بلا ترتيب ولا نظام . فان حي مدرسة الصنائع والفنون مثلاً الذي يُوشر بانشائهِ منذ عشرين سنةً وكان حقُّهُ ان يكون حيًّا بالغاً نهاية الحسن هو اشبه بساكن الزنوج لا نظام فيهِ ولا هندام أقيمت فيهِ الابنية كما خطر على بال اصحاب الملك

وما قولنا عن شوارع المدينة وطرقها التي تحتاج سريعاً الى التوسيع فلو جروا في اصلاحها على نظام وتتبَّعوا بالترتيب حيًّا بعد آخر مباشرين مثلاً بشارع البريد لينظّموا

ابنيتهُ تنظيماً نهائيًّا ثمَّ يتبعونهُ بشارع جورج بيكو الخ كما اشار عليهم صديقنا يوسف افندي افتيموس لادركوا الغاية المنشودة فتراهم على خلاف ذلك مرتابين متحيّرين لا خطَّة لهم ثابتة في العمل

ولا اتعرَّض هنا لاقنية القاذورات ومصارفها لان درسها يستدعي بحثاً خصوصيًّا وبلغني ان اصحاب الفنّ ساعون في اصلاحها قريباً . ومعلوم ان على تنسيقها يتوقَّف كثير من الاصلاحات البلديَّة وتنظيف شوارع المدينة

فلنفترض اصلاح هذه الاقنية ولنلقِ النظر على مستوى الطرقات التي لم يتَّفقوا حتى الان على نوع تبليطها . وقد تعهَّدت شركة الترامواي بتبليط خطوطها فنشكرها على هذه الخدمة وأملنا ان لم تتباطأ في انجازها . ثمَّ نقترح عليها ان تمدّ خطوطها في احياء جديدة على الاقلّ في حيّ الاشرفية وحيّ المصيطبة وتسعى في ان تجعل اسلاكها لاحقة ببعضها دائرةً حول المدينة

هذا عن شوارع الترامواي وما قولنا عن بقيَّة الطرق ؟ كيف يجب تبليطها ؟ يتسارع البعض ويجيبون فلتبلَّط كالطرق العمومية السابق ذكرها بالحجر البركاني لكنَّهم لا يفطنون انَّ احياء بيروت على شكلين منها سويَّة يصلح لها هذا الحجر لولا انهُ غالي الثمن ومنها منحنية لا يوافقها هذا الحجر لانهُ صقيل زلج لا يصلح للمركبات فانَّ الخيل لا يمكنها السير عليهِ لاسيما اذا سقط المطر

واشار بعضهم الى التبليط بالخشب وانَّما هذا ايضاً ذو كلفة بالغة تأباها ميزانيَّتنا فيبقى التبليط المعروف بكادام الممزوج بالقطران او التبليط بالبيتون المختلف التركيب وكلتا الطريقتين حسنة والمصريون قد استحبُّوا الشكل الاوَّل فلا بأس من استعمالهِ وعليهِ جروا في بيروت في حيّ الفرنسويين الَّا انَّهم لم يراعوا فيهِ الاقتصاد

ومع اصطلاح ارباب الفنّ على تبليط حسن واقتصادي للطرقات لا بُدَّ من عمَّالة عديدين لمراقبة الطرق دواماً

﴿الجازر والمسالخ﴾ تحتاج مسئلتها الى شركة تهتمّ بها من حيث النظافة والاقتصاد فانَّ دماء المذابح تذهب هدرًا فتسيل الى البحر ويستطاع الاستفادة منها كسماد حسن للفلاحة

﴿الحدائق العمومية﴾ هذه مسألة حيوية. فان الحديقة العمومية مع نقصها تحوّلت الى معرض واليوم تسعى الايدي في قلبها ظهراً لبطن ولا نعلم من هو الرأس المُعنى باصلاحها وتحسينها. وكانوا فكّروا سابقاً بانشاء حدائق غيرها ولم تخرج تلك الافكار الى عالم الحقيقة بل تصرّفت الحكومة على خلاف الحقوق بتلك الباحة الواقعة غربي السراية القديمة وكان حصل الاتفاق على تحويلها الى جنينة عمومية

وما قولنا بتلك المنازل القذرة الواقعة في وسط المدينة حيث تُعلن العمارة بكل مساوئها فتشوّه بيروت وتجعلها كمدينة الفجور والخلاعة في عين الغريب فيرى المرسات راتعات في البيوت الجميلة وهو مع ذلك يسمع العموم يتشكون من غلاء الايجار

فترى كم هي عديدة احتياجات بيروت لو اراد اهلها ان تستأنف انظارَ الغرباء ليقصدوها ويطلبوا فيها الاقامة

﴿غابة الصنوبر والبارك﴾ ولعلّ ضواحي بيروت اغنى بالمتنزهات من داخلها. لبيروت غابة صنوبر شاع ذكرها في كتب التاريخ ولو شاء ارباب الامر لجعلوها جنّة غنّاء. وقد تألفت لذلك شركة تدعى بشركة البارك فكان المأمول من عنايتها ان تجعل تلك الناحية جنة تُرى اليها العيون ويجدون فيها ما تأنس به نفوسهم من خضرة واشجار وبُرك ونوافير ومجريات وبستقوا الهواء الصافي إلا انها عدّدت فيها المباني دون نظام فتحت المقاهي والنوادي للاجتماعات والمقامرات وخصّصت الساحات الخالية لسباق الخيل وللترويضات البدنية

وقد وضعت البلدية حالاً على بساط البحث مسألة تحويل المقابر الاسلامية القديمة الى حديقة يُبنى في وسطها تل كبير ومسرح عمومي لعرض السينما وهو فكر حسن والافضل عندنا لو جُعلت تلك الساحات متنزهاً عمومياً واسع الارجاء يقصده الناس لتسريح البصر وترويح البال واستنشاق الهواء النظيف

ثمّ انّ الاتراك في زمن الحرب فتحوا ثلثة شوارع جديدة تُعرف اليوم بشارع فوش وألنبي وفخر الدين ابتاعوا من اصحابها على جانبيها عشرين متراً كبقية الشوارع. ثمّ ان بين شارع فخر الدين وشارع المستشفى العسكري الموازي لهُ يبقى خمسون متراً نُزع عشرون منها عن اصحابها فلو نزعوا الثلثين متراً الباقية أصبح طول الشارع ٣٠٠ متر وامكن انشاء حديقة تبلغ مساحتها ١٥٠٠٠ متر مربع تكون

كجنينة للبلد وكخير جيرة للسراية الكبيرة وتلاشي من الوجود تلك الاحياء القذرة. أما قيمتها فلا تكون عبئاً على مالية بيروت لان املاك البلدية في تلك الانحاء لوقوعها وسط بيروت سوف يزداد ثمنها فتُباع باغلى قيمة

وان لم ترضَ البلدية بحلّ المشكل على هذه الصورة فعليها ان تنزع الاملاك الواقعة بين شارعي ألبي وفخر الدين من اصحابها. فان فعلت طهرت البلد من اقذر احيائه حيث تعيش كل الجراثيم الوبيئة وقد تفقدتُ تلك الجهات في أيام الحرب بامر الوالي عزمي بك فوجدتها اكواخاً في منتهى القذارة والاتساخ فمن ذلك مطمورة من اوخم المطامير سمتُها عشرة امتار كان يأوي اليها سبعة اشخاص. وذلك الحيّ يسودّ الى اليوم وجه حاضرتنا ووجه البلدية التي تضرب الصفح عنهُ. وكنّا عرضنا على عزمي بك وقتئذٍ ان يبني لسكنى اهل ذلك الحيّ مباني نظيفة في جهات الرمل ويخرب هذا الحيّ الشائن فيبيع قسماً منهُ ويخصّ القسم الآخر بانشاء حديقة جميلة. فرضي عزمي بك بفكرنا ولولا نهاية الحرب لكان اخرجهُ الى حيز العمل

فهذه مقترحات نعرضها على ارباب الامر يمكنهم ان يباشروا بتحقيقها بتاتاً على قدر ما تسمح به حالة بيروت المالية في السنين التالية

﴿سواحل لبنان﴾ وليست بيروت وحدها تستحقّ الالتفات في سيف البحر. ففي شمالها الخليج اللطيف المنسوب الى القديس جرجس ثمّ عدّة قرى طيبة المناخ كدورة وانطلياس وضبيه وسربا وخصوصاً جونية يجمع بينها خطّ الترامواي. ولا شكّ انّ الاقبال عليها سوف يزيد ولاسيما اذا ابدلت شركة الترامواي المحرّك البخاري بالكهرباء فيتنقل القطار مراراً في النهار بينها

وغنيّ عن القول ان جونية خصوصاً من اصلح المقامات في كلّ حين وهي في الشتاء خيرُ منزل لسكّانها اذ هي في عمق خليج مستورة عن الريح الشماليّة مخفورة بجبال كسروان التي تكسوها ابهى حُلّة سندسيّة. فمن الواجب اللازب اذاً ان تُفرغ كنانة الجهد في تحسينها وتوفير اسباب هنائها. وقبل كل يجب ان يُشيَّد هناك نزلٌ تُفرَد فيه نحو ٣٠ غرفة مؤثثة حسنة الهندام. فلو حصلت جونية على ذلك لزاد الشرق الى سكناها. وهكذا حصل لعدّة مدن ساحليّة في فرنسة بعد ان كانت خاملة

وقبل ان نبارح السواحل ينبغي ان نذكر ما نوته شركة مصريّة يرئسها جناب

نجيب شكور باشا منذ ٢٠ سنة فانها تريد ان تحوّل الى واحٍ بديع في ارباض البلد الفسحةَ المعروفة بالاوزاعي في بترحسن حيث كان يجري سباق الخيل . فنعم الفكر نتمنى إخراجهُ الى حيز العمل باقرب وقت لان ذاك المكان بيبوسة هوائه وجودة مناخهِ يفضل على سكنى بيروت

٣ً الاصطياف والجبل

هلمَّ الآن بنا نصعد الى لبنان ذاك الجبل الشهير المعمَّم بالثلج المتسطق برونق الربيع والخريف في اوساطهِ والمتلظي في حضيضهِ بحرارة الصيف . فان تبعتَ آثار المصطافين رأيتَهم يؤمّون ناحيتين خصوصاً اعني عاليه وبحمدون وصوفر من جهة وبيت مري وبرمّانا وبكفيّا والشوير من جهة اخرى . امّا المصريون منهم الذي لا شغل لهم في بيروت فانهم يفضّلون المراكز البعيدة إمّا الارز وجهاتهِ وامّا جزين وانحاءها ونعمَ ما يعملون بابتعادهم عن لبنان المركزي فينجون من مطامع بعض اهلهِ الذين يزيدون بغير فطنة كل سنة قيمة استئجار بيوتهم فينفّرون المصطافين ويعرّضون نفسهم للخسارة فيكون مثلُهم مثل صاحب الدجاجة ذات البيض الذهبي حيث شقّ حوصلتها طمعاً وفقد بيضهُ

وعلى كلّ حال نرى المصطافين يتزاحمون في جهات عاليه وصوفر حتى اصبحت تلك الجهات مدناً عامرة فيفقد المصطافون ما يحتاجون اليهِ من السكينة . ولا ننكر ما لعاليه خصوصاً من الفضل بحسن موقعها وقربها من محطّة السكة الحديدية ووفرة المتنزهات الواقعة بجوارها . الّا انَّ لجهات بيت مري وبرمّانا وبكفيّا والشوير فضلاً ايضاً بمناظرها ومناخها ولطف اهلها ولاسيما بهدوئها وابتعادها عن الجلَبة والضوضاء والمقامرات . لكنَّ طريق العجلات والاوتومبيلات غير محكمة كثيرة الحفر والوعر لا يقطعها المسافر إلّا تردّى من غبارها بثوب ابيض مع قلّة السيّارات فيها بالنسبة الى عاليه

فيا لله ما أبعدنا من ترقّي البلاد المتمدّنة فاني كنت في العام الماضي راكباً اوتومبيلاً توغّل الى اعالي جبال الاردين والبيريناي فخفتُ ان يصيبنا في تلوّياتها واعوجاجاتها بعض الضرر فكان سفرنا اهنأ سفر فتذكّرت ما يتهدّدنا من الاخطار

في لبنان كلّ مرّة نرقى الجبل مع اعوجاجات طرقه «واكواعها» وعثراتها المتعدّدة وذلك لجهل مهندسيها في توسيعها بدلاً من توفير لَيّاتها ذهاباً وإياباً دون فائدة إلّا اطالتها

هذه ست سنين يتباحث فيها اصحاب الامر عن انشاء طريق من بيروت الى بيت مري تقصّر الطريق السابقة نحو ثلثة كيلومترات ويقلّل نحو اثنتي عشرة من اعوجاجاتها و«اكواعها» مع تحسين الباقي منها على طريقة فنّية وحتى اليوم لم يتّفقوا على عملها مع انّ تخطيطها قد تمّ وبوشر باصلاح نحو كيلومترين منها. وكلّ يعلم ما وراء إنجازها من المنافع الجمّة للمصطافين وهي من افضل مقامات الاصطياف لولا نقص الماء في تلك الجهات. وقد اثبتنا ان المياه كثيرة فعلى الشركة التي تألّفت لجلب المياه من ينابيع لبنان العليا ان تسرع الى العمل فتقوم بوعدها

هذا وكنّا قبل الحرب فكرنا مع بعض اصحابنا ان نجهّز في لبنان مُصعّدَين بتوازن الاثقال (funiculaires) الواحد من نهر الموت الى برمّانا والآخر من جونية الى حريصا فجاءت الاوتومبيلات تغنينا في الحاضر عن هذا المهمّ لكنّ الاوتومبيلات تستدعي اصلاح الطرق فطريق بيت مري الى برمّانا وبكفيّا لا تزيد نفقتها على ١٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ ليرة سوريّة وهذا قليل بالنسبة الى منافعها للوطن لاسيما ان اهل تلك القرى تعهّدوا دفع نصفها فيبقى ٢٥٠٠٠ ليرة سوريّة على ميزانيّة لبنان الكبير. ثمّ يجب مراقبة واصلاح الطريق من بحنّس الى ظهر الشوير ومسافتها من ١٢ الى ١٥ كيلومترًا لترسّع اكواعها ويوتّر وَعْرها ويُمنع اصحاب الكروم عن اختلاس جانب منها

وهذا ما يختصّ بلبنان المركزيّ. ويبقى تعديل الطريق المدعوّ بطريق اعالي لبنان والغاية منهُ ان يجاري الطريق العموميّة ويجمع بين كل المشارف والقرى التي تنفذ اليها. ولا يُنكر ما في انشاء مثل هذه الطريق من المحاسن بحيث تتّصل كل طرق لبنان ببعضها فتصبح كدوائر مقفلة. لكنّ هذا الفكر لم ينضج حتى اليوم ولا بُدّ لهُ من درس وبحث مدقّقين. وأمسُّ من هذه الطريق حاجةً تحرير الطرق الحالية واصلاحها على طريقة معقولة فنّية من تسوية وتقصير وتنظيف وفي ذلك اقتصاد واضح على ميزانيّتنا

وكثيرًا ما تأتينا طلبيّات بعض اهل القرى الصغيرة الذين يقترحون على الحكومة

انشاء طريق قريب منها. فذلك من النوافل التي لا تستحق اعتباراً ومن هذا القبيل ما طلبهُ البعض من انشاء طريق الى قنة صنين فينسون الكلف الباهظة التي تُقتضى لكل ذلك دون منفعةٍ تُذكر. وكم من السياح يحبُّون التجوُّل في اعالي الجبل إمَّا مشياً وامَّا راكبين الخيل والدواب فيتهنأون بمشاهد الجبل واستنشاق نسيمهِ البليل بكل تؤدة وراحة. كما جرى لي في الصيف الماضي حيث تفرَّعتُ صنين ماراً بمروج وبسكنتا فقضيتُ راكباً بغلاً اربع ساعات من اهنأ الاوقات

٤ الاصطياف والبلاد الداخليَّة

دَعْنا نجتاز الى ما وراء ظهر البيدر فنبلغ الى البقاع حيث نجد في طريقنا زحلة معروفة لدى الجميع فلا حاجة الى بيان احوالها. وليست كذلك بعلبك التي تجتذب اليها الغرباء من كل البلاد. فهناك آثار جليلةٍ قلَّما يُرى مثلها في غير بلاد الَّا انَّ الدهر لا يزال يعمل فيها فعلهُ فيحوِّلها الى اخربة ويشوِّه محاسنها. فلا بُدَّ من تشكيل لجنةٍ تفحص الامر وتستدرك الخلل قبل ان يتفاقم بسقوط بعض الاعمدة والسواري التي لا بُدَّ من دعمها وتمكينها فوق قواعدها. ويكفي لذلك حاضراً من ٣٠،٠٠٠ الى ٤٠،٠٠٠ فرنك. وقد تألفت لجنة لانشاء متحف هناك وعلى رأينا انَّ مراقبة آثار هيكل بعلبك لئلَّا تلحق بها آفات الزمان افضلُ من كل المتاحف. ولا يخلو لبنان من لجنة لجمع العاديَّات وصيانتها فمن الواجب ان توجِّه همَّتها الى ذلك وتواصل اعمال البعثة الالمانيَّة التي ادَّت خدماً مشكورة في زمن الاتراك. وان احتاجت الى بعض الاختصاصيين فلتسعَ بانتدابهم الى هذا العمل الشريف وتحتَطْ بهِ من كل وجوههِ. فانَّ لجنة مركَّبة من ذوي الاختصاص يمكنها ان تؤدي للبلاد خدماً مشكورة سواء كان في مراقبة آثار بعلبك ام آثار الدولة عموماً للسعي بشؤون الفنون الجميلة في بلادنا فتبعث الرغبة في قلوب الغرباء عموماً والعلماء خصوصاً الى السياحة في مواطننا. ومن ذلك العناية في غابات الجبل وتشجيرهِ والسعي الى نفي المواشي المضرَّة ولاسيما المعز المشؤوم. كما اني ألفت نظر ذوي الامر الى صيانة الطيور واتخاذ كل الوسائل لحفظها ومنع صيدها ليس فقط في زمن الربيع لكن طول السنة ريثما تنمو وتزداد فانها وحدها تنعش حقولنا وتطرب مسامعنا في قفارنا فضلاً عمَّا تتلفهُ من الحشرات

الضارَّة والديدان المؤذية

هذا وكان بودّي ان اتابع نظري الى غير انحاء من الداخليَّة لكنَّ ذلك يستدعي درساً خصوصيًّا. إلَّا اني في الختام لا يمكني الَّا ان ارجو الرجاء الحميم من كل الضابطين لزمام امورنا ان لا يألوا جهدًا في كل ما يزيد بيروت رقيًّا. وها قد اصحت اليوم فرضةً ليس لدمشق فقط بل للعراق والى جهات العجم. فبفضل المواصلات اخذ البغداديون يرسلون اولادهم الى مدارس بيروت ومعاهدها العلميَّة فبلغ عددهم في العام المنصرم الى ٢٥٠ تلميذًا. وقد اتانا ايضاً مؤخرًا كثيرون من اهل العراق ليقضوا عندنا فصل الصيف فكل هذه المواصلات فتحت باباً جديدًا لمستقبل بلادنا كما انَّها تستوجب اهتماماً جديدًا بكل شؤونها فيتمتع الغرباء برافقها ويقفون على فضل انتداب فرنسة في ربوعها فيزيد اعتبارهم لتلك الدولة التي ترفع حيثما تحلّ منار التمدُّن والعمران

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

٩ كنائس السريان القديمة في القطر المصريّ

يتلخص ممَّا اوردناه حتى الآن ان وادي النيل كان حافلًا بالشعب السرياني حتى القرن السادس عشر وما بعده وكان لهم فيهِ عدَّة كنائس معتبرة بقيت منها بقية حتى اليوم وأخرب المسلمون منها عددًا وافرًا. قال المقريزيّ (الخطط ٢: ٤٩٦) ما نصهُ:

« ان الحاكم بامر الله كتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعمّ الهدم فيها من سنة ٣٠٣ هـ (١٠١٣ م) حتى ذكر من يوثق به في ذلك انَّ الذي هدم الى آخر سنة ٥٠٥ هـ (١١١٦ م) بمصر والشام وأعمالهما من البياكل . . . نيف وثلاثون الف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على اوقافها وكانت اوقافًا جليلة على مبانٍ عجيبة . . . وفي هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى »

الضارَّة والديدان المؤذية

هذا وكان بودّي ان اتابع نظري الى غير انحاء من الداخليَّة لكنَّ ذلك يستدعي درساً خصوصيًّا. إلَّا اني في الختام لا يمكني الَّا ان ارجو الرجاء الحميم من كل الضابطين لزمام امورنا ان لا يألوا جهدًا في كل ما يزيد بيروت رقيًّا. وها قد اصحت اليوم فرضةً ليس لدمشق فقط بل للعراق والى جهات العجم. فبفضل المواصلات اخذ البغداديون يرسلون اولادهم الى مدارس بيروت ومعاهدها العلميَّة فبلغ عددهم في العام المنصرم الى ٢٥٠ تلميذًا. وقد اتانا ايضاً مؤخرًا كثيرون من اهل العراق ليقضوا عندنا فصل الصيف فكل هذه المواصلات فتحت باباً جديدًا لمستقبل بلادنا كما انَّها تستوجب اهتماماً جديدًا بكل شؤونها فيتمتع الغرباء برافقها ويقفون على فضل انتداب فرنسة في ربوعها فيزيد اعتبارهم لتلك الدولة التي ترفع حيثما تحلّ منار التمدُّن والعمران

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي (تابع)

٩ كنائس السريان القديمة في القطر المصريّ

يتلخص ممَّا اوردناه حتى الآن ان وادي النيل كان حافلًا بالشعب السرياني حتى القرن السادس عشر وما بعده وكان لهم فيهِ عدَّة كنائس معتبرة بقيت منها بقية حتى اليوم وأخرب المسلمون منها عددًا وافرًا. قال المقريزيّ (الخطط ٢: ٤٩٦) ما نصهُ:

« ان الحاكم بامر الله كتب الى ولاة الاعمال بتمكين المسلمين من هدم الكنائس والديارات فعمّ الهدم فيها من سنة ٣٠٣ هـ (١٠١٣ م) حتى ذكر من يوثق به في ذلك انَّ الذي هدم الى آخر سنة ٥٠٥ هـ (١١١٦ م) بمصر والشام وأعمالهما من البياكل . . . نيف وثلاثون الف بيعة ونهب ما فيها من آلات الذهب والفضة وقبض على اوقافها وكانت اوقافًا جليلة على مبانٍ عجيبة . . . وفي هذه الحوادث أسلم كثير من النصارى »

فيُستفاد من قوله ان هذا الحاكم عينه قوّض جملة من كنائس السريان واضطرّ طائفةً منهم الى الاسلام فأسلموا واخذوا في الانتقاص وما زالوا هكذا حتى تبعوا الاقباط في لغتهم وعاداتهم كما سبقوا وتبعوهم في مذهبهم واستبدّ الاقباط ببقيّة كنائسهم ولم يعودوا يجسرون ان يدّعوا بها او يتداخلوا بشؤونها وأوقافها

وبالرغم من ذلك كلّه فقد بذلنا جهدًا جهيدًا في التنقيب عن الكنائس السريانيّة القديمة فاهتدينا بعد العناء الجزيل الى الوقوف على ثماني كنائس جليلة للسريان عثرنا على اسمائها لدن مطالعتنا التواريخ الصحيحة واستقرائنا الحواشي التاريخيّة الملحقة بالمخطوطات السريانيّة القديمة وها انا نسرد اسماءها نقلًا عن اولئك الكتبة الثقات وعن تلك الاسفار النادرة المثال

فقد كان للسريان في فسطاط (١ مصر كنيسة كبيرة باسم مار يوحنا على ما ورد في مخطوط مكتبة لندن (عدد ٢٤٣) المنسوخ سنة ٨٦٢ م في كنيسة مار يوحنا بفسطاط مصر

وكان للسريان كنيسة ثانية في الفسطاط على اسم والدة الله على ما ورد في حاشية عُلّقت على تاريخ كتاب ميامر يعقوب السروجي (عدد ٦٣١ من فهرس مخطوطات لندن) هذا تعريبها «ارسل هذا الكتاب شمعون بن قرياقس التكريتي ... الى كنيسة والدة الله التي تخصّ التكريتيين في فسطاط مصر». وورد في المخطوط (عدد ٣٣٦) ما شرحهُ «وقف ابن سهاون هذا الكتاب وكتابين آخرين ... لاستعمال كنيستنا في الفسطاط». على ان المؤرخ الرهاوي السرياني صرّح بوجود كنيستين للسريان في الفسطاط ابتناهما اثناسيوس ابن جوميا الرهاوي السرياني قال ما تعريبهُ :

«ان عبد الملك بن مروان (+ ٧٠٥) استدعى الى دمشق اثناسيوس ابن جوميا لما بلغهُ عنه من طول الباع في العلوم ورسوخ القدم في السياسة وأوفده الى مصر صحبة عبد العزيز أخيه الفتى وأوصاه به ونصبهُ مدبّرًا للقطر المصري واناط به أمر الحلّ والعقد . ووكّل أنجاله على باب

١) روى الشيخ ابو صالح الارمنيّ (ص ٢٨) «ان عمر بن العاص والعرب الواصلين معه ... وصلوا الى قصر مبنيّ بالحجارة بين الصعيد والريف سُمّي بابلون ... وسمّوا ذلك المكان الفسطاط بلغتهم وتفسير هذه اللفظة الخيمة . وكذلك مقرّ الجيش (الشمع) بمصر سمّوه فسطاط بابلون» وقال ميخائيل الكبير (ص ٦١٩) بابلون اعني الفسطاط وكذا ابن العبري (ص ١٠٣) كما ذكرنا

جوندا . فظلّ اثناسيوس وأسرته في مصر احدى وعشرين سنة وكان يجلّ الاكليروس ويكرمهم وصرف المساعي الطيّبة في انشاء الكنائس وبذل الصدقات للبناس والارامل وشاد كنيستين كبيرتين في فسطاط مصر . . . » (١

وذكر المقريزي كنيسة ثالثة للسريان في القطر المصريّ (٢ : ٥١١) قال :

« كنيسة بومنا (لعلّها تحريف يوحنا) هذه الكنيسة قريبة من السدّ فيما بين الكيمان بطريق مصر وهي ثلاث كنائس متجاورة احداها لليعاقبة (القبط) والاخرى للسريان والاخرى للارمن »

وذكر المقريزي للسريان كنيسة رابعة على اسم ماروثا قال (ص ٥١٧) :

« كنيسة ماروطا (ماروثا) القدّيس بناحية شمسطا . وهم يبالغون في ماروثا هذا وكان من عظماء رهباتهم وجسده في انبوبة بدير بوشاي من برّيّة شيهات يزورونه الى اليوم » . على ان دير الانبا بيشاي المذكور كان يخصّ السريان كما سترى »

واورد المقريزيّ ايضاً (ص ٥١١) ذكر كنيستين في الخندق ظاهر القاهرة احداهما على اسم جبرائيل الملاك والاخرى على اسم مرقوريوس . ويتبادر الى الظنّ ان احداهما كانت للسريان لانهم يعظّمون مرقوريوس ويعتنون بذكره وقد اقاموا على اسمه ديراً في القطر المصري كما سترى

اما الكنيسة السادسة فقد ورد اسمها في مخطوط لندن (عد ٣٢٢) على هذه الصورة : « نُسخ الجزء الثاني من كتاب الصلوات الفرضيّة السريانيّة سنة ١٠٠٧م في برّيّة الصعيد في عهد داود رئيس دير والدة الله . . والقس عبدا راهب كنيسة مصر » ولم يذكر الكاتب اسمها . وهذا الكتاب كان يستعمله كهنة هذه الكنيسة في صلواتهم القانونية

وكان للسريان كنيسة سابعة في سمنوطية بمصر ذكرها الشيخ الفاضل جرجس ابن العميد ابي اليسر ابن ابي المكارم بن ابي الطيّب بن قوريتة بن طيّب بن يوسف التكريتي السرياني مكمّل تاريخ ابي جعفر الطبري المطبوع سنة ١٦٢٥ بهمّة المستشرق ارنيوس في ليدن (ص ٢٩٩ و ٣٠٠) بقوله :

« وفي ايام الآمر بالله (١١٠١-١١٢٠) قدم من تكريت رجل نصراني سرياني تاجر اسمه

١) التاريخ الزهاريّ (ف ١٤٩ ص ١٨٩)

طيّب بن يوسف وعمل اعمال كثيرة من . . . الحرير عمل الهند واليمن . . فقدم للخليفة من اجودها . . واتم عليه بقرية من اعمال الخوف اسمها جيدة مجاورة لدماص . ولما مات الخليفة الامر بالله انتقل الشيخ طيّب وسكن سنوطية وتزوّج ورزق ولداً سمّاه قرونية ومات الشيخ طيّب ودفن بكنيسة سنوطية . . .

ثم استقلّ المؤرخ :

« اما قرونية فاشتغل بصناعة الكتابة وتصرف في الخدم الديوانية ورُزق ولداً سمّاه ابا الطيّب باسم جدّه . وكان كاتباً حاذقاً لبيباً ورحل الى القاهرة واجتمع بالاكابر . . فاستخدموه صاحب ديوان العربية . . واقام سبع سنين واشهراً . ورغب في الزراعات وكثرة المواشي . . . حتى صار ماله عشرين الف دينار . . وكان له خمسة اولاد فصار منهم اربعة اساقفة واصغرهم ابو المكارم كانت له مواشي وزراعات وخلايا نحل تزيد على الف خلية . وتزوّج اخت المكين سمعان بن كليل . . . من اهل ميكائيل بشو . . . وخدم سمعان بديوان الجيش في ايام الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ٥٦٩-١١٧٣ ثم ترك الخدمة وترهّب بدير ابو يحنّس القصير بجبل الاسقيط بوادي هبيب . وولد ابو المكارم بن ابي طيّب ثلاثة اولاد النجيب ابو الفضل والسعيد بو الياسر والد المؤرخ والمخلص ابو الزهر . وتوفيت زوجته فترهب وتوفي سنة ٦٠٦-١٢٠٩ واستخدم السعيد بو الياسر في ديوان الجيش موضع خاله المكين سمعان . وكانت سيرته بين العالم مثل سيرة الرهبان القدّيسين . . . واقام بديوان الجيش ٤٥ سنة ومات في صفر (٦٣٦-١٢٣٨) وترهّب الشيخ جرجس ابن السعيد المؤرخ سنة ١٢٧٣

اما الكنيسة الثامنة فقد شادها التكريتيّون على اسم مار بهنام الشهيد تيمّناً به لانه استُشهد في أوطانهم . وموقع هذه الكنيسة في مصر العتيقة قرب مقبرة اللاتين في يومنا . وقد ذكرها مخطوط مكتبة برلين (عدد ٢٥٩ ص ٧٩٠) المنسوخ سنة ١٧٣٤م على هذه الصورة « اوقف هذا الكتاب على بيعة القدّيس الشهيد . . . مار بهنام بمصر المحروسة » وتلي ذلك هذه العبارة : « نظر في هذا الكتاب . . . الراهب هندي بن اسحق الموصلي خادم دير مار بهنام المكوّن في محروسة مصر القاهرة سنة ١٧٩٦م » . وظلت هذه الكنيسة في حوزة السريان حتى تولى ادارتها وخدمة شعبها الربّان الياس ابن اميرخان الديار بكريّ السريانيّ الكاثوليكيّ الذي اوفده الى القطر المصريّ في ٦ تشرين الثاني ١٧٧٤م السيّد غريغوريوس يوسف قدسي مطران اورشليم (+ ١٧٩٧) كما يتّضح جليّاً من هذا الاعلام المحفوظ في خزائن الكتب بدير الشرفة وقد نشره جناب القيكونت فيليب دي طرّازي في كتابه « السلاسل التاريخيّة » (ص ٣٨١) واليك نصّهُ :

المجد لله دائماً

بسم الازليّ السرمدي الواجب الوجود الضابط الكلّ

غريغوريوس مطران اورشليم وابناء السريان وهو يوسف الحقير

اعلام لكلّ ناظر اليه وواقف عليه: انا قد رقّينا ولدنا الحبيب الريان الياس ابن اميرخان الديار بكرلي من درجة القسوسية الى وظيفة المورنة على مذبح القديس مار بنيام الكائن بمحروسة مصر لكي يخدم حضرة اولادنا السريان المباركين القاطنين بالمدينة المذكورة بكافة لوازمهم الروحية. وصرّفناهُ في خدمة الاسرار الالهية ان يقدّس ويعرّف ويعمّد ويكلّل ويمسح ويقسّم جميع لوازمهم الروحية كما يجب من غير مانع. جعل الله ذلك عليه مباركاً. وقد تمّ ذلك بكنيسة السيدة بدير القديس مار افرام (الرغم بجبل لبنان في قرية الشبانية) في اليوم السادس من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٧٦م.»

فهذه الكنيسة قد اختصها الاقباط من السريان وبدّلوا اسمها الاصلي باسم مينا واستدّوا بها استبدادهم بسائر الكنائس والأديار التي كانت تخصّ السريان في وادي النيل

١٠ اديار السريان في القطر المصري

امتاز السريان منذ تنصّرهم بالرغبة في التقشف والنسك والزهد في حطام الدنيا والانقباض عن الناس والانقطاع الى الله عزّ شأنه فانتشرت الطريقة النسكيّة في بلادهم منذ مبادئ القرن الرابع وبلغت اوج الكمال في القرون المتوسّطة وأسّسوا ديورة ومعابد شتى نبغ فيها انام اتقياء وجهابذة نبلاء اتّصفوا باصناف المعارف وامتازوا باحلى الخلال المسيحية فأولوا العالم فضلاً واستوجبوا أطيب الثناء والشكر

على ان السريان كانوا قد شادوا مائة واربعة وعشرين ديراً في سوريا الجنوبيّة وردت اسماؤها واسماء رؤسائها في مخطوط لندن (عدد ٧٥١ ص ٧٠١–٧١٤) المنسوخ نحو السنة ٥٧٠ م وقد وقّع هؤلاء الرؤساء اسماءهم في تلك الرسالة باللغة السريانيّة الّا ثمانية عشر منهم فقط امضوا اسماءهم باليونانية

وكان للسريان في براري ما بين النهرين وضواحيها وجبالها كنائس عديدة وديورة شتى أخنى عليها الدهر وصارت الى الضعضعة والدمار خصوصاً بعد ظهور الاسلام.

وقد اورد القلقشندي ما يؤيد هذا الكلام بقوله (١ : «وكان بالرها كنيسة عظيمة وفيها اكثر من ثلاثمائة دير للنصارى». قال في تقويم البلدان: «وهي اليوم خراب». يعني في اثناء الدولة الناصرية. ثم عمرت بعد ذلك. قلتُ: وهي اليوم عامرة آهلة». وقد ذكر المؤرخ الرهاوي عدداً من تلك الاديار وقال: «انهُ كان يعتكف فيها في القرن الرابع تسعون الف راهب (٢ «وقد نشرنا على صفحات المشرق عدداً غفيراً من تلك الاديار التي تفقّدناها بنفسنا ووصفنا ما كانت عليه من العزّ والشرف وما صارت اليه من الذلّ والدمار (٣

اما السريان الشرقيّون وهم الكلدان فقد ذكرهم يشوع دناح صاحب كتاب العفّة زهاء مائة واربعين ديراً أنشأها أئمة الرهبان في بلاد المشرق القاصية وفي فارس وبلاد العرب. وقد ذكر ايضاً توما المرغيّ النسطوري صاحب كتاب الرؤساء عدداً عديداً منها. وكلا الكتابين نشرهما الاب بولس بيجان اللازاري سنة ١٩٠١ وقد حدث لهذه الاديار ايضاً ما حدث لاديار السريان الغربيّين من الحيف والتعدّي والخراب

ولم يكتفِ السريان بتأسيس الاديار في أوطانهم بل قصدوا القطر المصري للاخذ عن رهبانهِ كما ذكرنا وشيّدوا في براريهِ المقدّسة اديارًا كثيرة اشتهر امرها وذاع في الآفاق ذكرها لِما نجم عنها من الفوائد الدينيّة وما ابقته لعالم الادب من الآثار التاريخيّة. وها اننا نسرد ههنا اسماء بعض تلك الاديار التي وقفنا عليها ملتمسين بذكر ما جرى لها وما حلّ بها

اوّلًا دير مار رومانس الكبير المعروف بدير قسين (٤ . حلّ فيه يعقوب البرادعي إمام السريان المنوفستيين وفيه لقي حتفه هو واصحابه كما ذكرنا آنفاً (عدد ٤)

ثانياً دير بو ساويرس اوّل بطاركة السريان المنوفستيين الذي سار الى مصر كما

١) صبح الاعشى ٤ : ١٣٩)

٢) تاريخ الرهاوي (ف ٣ ص ١٠٨)

٣) اطلب مقالتنا في المشرق (١٢ [١٩٠٩] : ٧٦٠) ورحلتنا في طور عبدين (المشرق ١٦ [١٩١٣] : ٥٦١-٥٧٨ و٦٦٣-٦٧٥ و٧٢٩-٧٥٤ و٨٢٥-٨٥٤)

٤) ميخائيل الكبير (ص ٣٦٥)

ذكرنا سنة ٥١٩ واقام فيها تسع عشرة سنة يجول من دير الى دير حتى وصل الى وادي هبيب منهزماً (١ ولما اخترمته المنية (+ ٥٣٨) شاد السريان فوق ضريحه ديراً فخماً سمّوه باسمه تيمناً. وقد ذكره المقريزي بقوله :

«كان ساويرس من عظماء الرهبان فضل بارعاً. وظهرت آية عند موته وذلك انه انذرهم لما سار الى الصعيد بانه اذا مات ينشقّ الجبل وتقع منه قطعة عظيمة على الكنيسة فلا تضرّها . . ولما تمّ ذلك . . . علم رهبان هذا الدير بان ساويرس قد مات فارّخوا ذلك فوجدوه وقت موته فسمّوا الدير حينئذٍ باسمه (٢

ثالثاً دير الزجاج درس فيه سيمون السرياني الذي تولى بطريركية الاسكندرية كما اوردنا آنفاً

رابعاً دير شعران ويُسمّى دير برصوما في حدود ناحية طرّا ذكره المقريزي (ص ٥٠) وقال انه : «مبني بالحجر واللبن وبه نخل وعدّة رهبان . . . وكان يُعرف قديماً بدير مرقوريوس (٣ او مرقوره . ثم لما سكنهُ برصوما بن اتيان عرف بدير برصوما »

خامساً دير لانطرنيين . موقعه في قرية انانطون بالاسكندرية كان مورد الكتبة وطلاب العلوم السريانية وكانوا يستقون من مناهل كتبه رائد نه قصده يوما الحرقلي السرياني اسقف منبج في اوائل القرن السابع واكبّ فيه سنة ٦١٦ على تنقيح ترجمة العهد الجديد المنقولة من اليونانية الى السريانية . وصار اليه كذلك يعقوب الرهاوي + ٧٠٨ وغيره من ائمة السريان واكملوا فيه علومهم . وقد ورد ذكر هذا الدير ايضاً في مخطوط لندن (عدد ٨٥٣ ص ١٥٢) المنسوخ سنة ١٠٨١ م على هذه الصورة : «رسالة كتبتها حقارتنا (لعلّه اثناسيوس الجمال بطريرك السريان) الى دير الانطونيين . الى ايسيدور وثاودور . . . مع نبذة من الرسالة التي كتبناها الى جماعة كنيسة الاسكندرية »

سادساً دير الخندق . كان مشيّداً على جانب مصر على ما ورد في تاريخ مخطوط لندن (عدد ٣١٨ ص ٢٥٨) وهذا تعريبه :

---

١) المقريزي (٢ : ٤٨٦) ٢) المقريزي (٢ : ٥٥٦)

٣) ورد ما يؤيد ذلك في مخطوط سرياني نُسخ في الدير المذكور سنة ١٣٦٥ م وهذا المخطوط يخصّ اليوم مكتبة الكلدان بماردين (عدد ٨٩) وفيه ان هذا الدير موقعه في جبل طورا وهي تصحيف طرّا

« انتهى نسخ الكتاب سنة ١١٦٦م كتبه وجلّده الراهب ابرهيم بن فولوس الفزاز بساعي السيدة عزيزة مرّية الملوك ومضيفة الغرباء ومشيّدة المذابح ومؤسسة الكنائس . . . وقد نُقل هذا الكتاب من كنيسة السريان في ناباس . . . واشتراه الرّبان عزيز البرطلي في دير الخندق على جانب مصر سنة ١٠٩٧ وهي السنة الاولى لفتح اورشليم الهائل »

وذكره المقريزيّ (ص ٥٠٧) بقوله :

« دير الخندق ظاهر القاهرة من بحريّها عمّره القائد جوهر عوضاً عن دير هدمه في القاهرة كان بالقرب من الجامع الاقمر حيث البئر التي تُعرف الآن ببئر العظمة وكانت اذ ذاك تُعرف ببئر العظام من اجل انه نقل عظاماً كانت بالدير وجعلها بدير الخندق . ثم هُدم دير الخندق في ١٤ شوال سنة ٦٧٨-١٢٧٩م في ايّام المنصور قلاوون . ثم جدد هذا الدير . . . وعمل كنيستين »

فمن قوله عوضاً عن دير هدمه نستنتج انّه كان للسريان دير آخر مجهول اسمه تعوّضه القائد جوهر وابتنى دير الخندق عوضاً عنه

سابعاً دير مار ثاودور . كان موقعه في الجبل الغربيّ ورئيسه لاونطي السرياني على ما وصفه مخطوط لندن (عدد ٣٤)

ثامناً دير مار مايكيل . كان هذا الدير في برية ماريس وقد ورد اسمه في مخطوط لندن (عدد ٧٥٢ ص ٦٩٦) على هذه الصورة : « اعتنى بهذا الكتاب . . . متى وابرهيم التكريتيّان وانتهى نسخهُ سنة ٨١٦ م في برّية ماريس في دير مار مايكيل في عهد قرياقس بطريرك السريان († ٨١٧) ومرقس بطريرك الاسكندريّة

تاسعاً دير الانبا مقاريس . قال المقريزيّ (ص ٢ : ٥٠٨) :

« هو غير دير ابي مقار الكبير حيث كان يُرسم بطاركة الاسكندرية . وكان فيه من الرهبان الف وحمائة لا تزال مقيمة به . . . والمقارات ثلاثة اكبرهم صاحب هذا الدير ثم ابو مقار الاسقف »

وكان احد هذه الاديار الثلاثة يخصّ السريان وهو يبعد زُهاء ثلاث ساعات عن ديرهم الشهير المبني على اسم والدة الله . ويؤيد ذلك ما جاء في « كتاب المداريش محفوظ المخطوط سنة ٧١٨ م في برية الصعيد في دير الانبا مقاريس (١ واعتنى باستنساخه « الانبا يوسف رئيس دير السريان المعروف بدير والدة الله في الصعيد »

عاشراً دير الانبا فولا . كان الى جانب دير مار انطونيوس وكان يحتوي على

(١) اطلب فهرس مخطوطات لندن السريانية (عدد ٣٠٩)

مكتبة سريانيَّة معتبرة فاستحلّه الاقباط واستبدُّوا بمكتبته. ويؤيد ذلك ما ورد في حاشية عُلّقت على كتاب اسحق النينوي النسطوري (١ الموجود في مكتبة لندن (عدد ٦٩٥ ص ٥٨٠) هذا شرحها :

« فليعلم اخوتنا الرهبان السريان القاصدون هذا الدير من بعدنا ان دين الانبا فولا القريب من دير مار انطون كان يخصّنا ايضاً وكان يشتمل حتى اليوم على كتب سريانيَّة عديدة فضبطه الاقباط واستحلّوه واستبدُّوا بكتبه ولم يتيسَّر لاحد منَّا ان يمارضهم او يحاججهم فيفكّه من يدهم ويردّه الينا. . »

حادي عشر دير الانبا انطونيوس. انهزم اليه قسطنطين رئيس دير والدة الله في صعيد مصر تفادياً من قيل الرهبان وقالهم وتملّصاً من فتنهم وفيه قضى أَجَلهُ وخلّف بعض المخطوطات السريانيَّة (فهرس مخطوطات لندن عدد ٦٩٥)

ثاني عشر دير الانبا بيشاي. لهذا القديس اعتبار جزيل ومنزلة كبرى لدى السريان وقد زاره مار افرام السرياني على ما وصفنا وحادثهُ وظلّ السريان يكرمونهُ ويعزّزون ذكرهُ حتى ابتنوا لهم ديرًا على اسمه. وكان مولد بيشاي في قرية بمصر تُدعى بسنيا وورق الله والديهِ سبعة ابناء كان هو اصغرهم ولمَّا كبر وترعرع قصد برية شهيات (٢ وتاول درس الكتب المقدَّسة ثلاث سنوات ثم انزوى في مغارة حقيرة وانضمّ اليهِ كثيرون من الزهاد وضاع اريج قداسته في برية نيطرون وزاره مار افرام السرياني ومكث عندهُ اسبوعاً. ثم ارتحل بيشاي الى ماريس اي ثبانس واخذ يعلّم رهبانه عقائد الدين وتراءى له السيد المسيح وشجّعه على مواصلة اعمال التقشف ووعده بان سيكون له دير في الصعيد يؤمّه الكثيرون ويدعون باسمه. واقام القديس بيشاي في تلك البريّة ستين سنة غير السنين التي قضاها في ماريس وتوفي في ٨ آب وهو يقابل ٢ تموز (٣

---

١) نشرنا اخباره على صفحات المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ٢١٥

٢) برية شهيات تعريف بريّة الاسقيط والصعيد موقعها في وادي حبيب وهو وادي النيطرون وتسمى ايضاً ميزان القلب كما عرّفها السريان بقولهم « معيدا وسعمدا ة ٨٥٤ ححل ٥٥٥٥١١ وسعمحا » وكان في هذه البرية قديماً مائة دير ثم صارت سبعة . . . وقد خرج الى عمرو بن العاص من هذه الاديرة سبعون الف راهب يد كل واحد عصا فسلّموا عليهِ وكتب لهم كتاباً هو عندهم (المقريزي ٢: ٥٠٨)

٣) اطلب سيرة القديسين طبع الاب بيجان بالسريانية ٣: ٥٧٢-٦٣٠

البابا ليباريوس — البابا حنة — بطرس الرسول في رومية

ردّ على القس منّى يوحنا

بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

يسوءنا ان ندخل في الجدال مع كتبة لا يطلبون الحقّ ولو ظهر لهم للعيان فيلتجئون الى المماحكات ويستقون حججهم من ذوي العداوة والغايات . فهذا القس منّى يوحنا صنف كرّاساً ذا ٢٤ صفحة ادّعى فيهِ انهُ يردّ على انتقادنا ليس لكتابهِ تاريخ الكنيسة القبطيّة الذي كنّا نجهلهُ ونتنذ بل لكتاب الراهب البرموسي «الجريدة النفيسة» الذي تعدّدت فيهِ الاغلاط التاريخيّة واللاهوتيّة فاكتفينا بتفنيد مسئلة واحدة جوهريّة من شأنها ان تنقض كلّ مزاعمهِ وهي مسئلة الارتباط بين كرسي رومية وكرسي الاسكندريّة ولم نستند في ردّنا إلّا الى اقوال الكنيسة القبطيّة نفسها فكنّا في انتظار جواب ذاك الكاتب ليقرّ بضلالهِ ويُذعن الى صوت كنيستهِ وآبائهِ . واذا قد انتصر لهُ بعد مضي عشرة اشهر القسّ منّى يوحنا وادّعى انّ ردودنا كان على كتابهِ تاريخ الكنيسة القبطيّة الذي طلبناهُ من مصر واطّلعنا عليهِ فاذا هو ضارب على وتر واحد مثل الراهب البرموسي . فشحن كتابهُ مزاعم عديدة يقتضي تمحيصُها وتفنيدها المجلدات الضخمة وما نبي الّا نقطة الجدال على ارتباط كنيسة الاسكندريّة بكرسي رومية امّ الكنيسة الاسكندريّة شاء المكابرون ام أبَوا ما لم يُبطل الراهب البرموسي او نصيرهُ القس منّى ادلّتنا الساطعة

على انّ الكرّاس الجديد قد زاد الطين بلّةً بما اودعهُ صاحبهُ من المزاعم الواهية التي يخجل الكتبة الاثبات الاستناد اليها وهذه ثلثة منها نذكرها كمثل للدلالة على ضعف برهان القسّ منّى ان لم نقل على جهلهِ وسوء نيّتهِ

﴿١ مسئلة البابا ليباريوس﴾ ادّعى القسّ منّى انّ هذا البابا جحد الايمان وأمضى صكًّا اريوسيًّا وحكم على القديس اثناسيوس . وهذا المدّعى قد زيّفناهُ في مقالة سابقة رددنا فيها على المنار البيروتي ردًّا مفحماً في المشرق (٢ [١٨٩٩]: ٤٤٩—٤٥١) مستندين الى بيّنات اكبر علماء زماننا العلماء البولنديين الذين اثبتوا انّ الاقوال

المنسوبة الى القديسين اثناسيوس وايلاريوس دسّها الاريوسيّون فلا يجوز التعويل عليها (١ . وكفانا برهاناً على قولنا انّ الكنائس كلّها على اختلاف نزعاتها تقيم عيدا لهذا القديس فالكنيسة اليونانيّة والسريانيّة في ٢٧ آب والكنيسة اللاتينيّة في ٢٣ ايلول والكنيسة القبطيّة في ٩ تشرين الاوّل . وجاء ذكرهُ في كلندار الاقباط بهذا الوصف «القديس ليباريوس المحامي عن الايمان» وكذلك في ميناون الروم الكبير «عيد ابينا القديس ومعترف الايمان ليباريوس اسقف رومية» . وجاء في رسائل الحبرين الاعظمين اللذين خلفا القديس ليباريوس اي انستاس الاوّل وسيريسيوس مديح لايمان ليباريوس وطيب ذكره . ومثلها اثنى عليه القديسون امبروسيوس وباسيليوس وابيفانيوس ثمّ تاودوريطس فيصفونهُ باوصاف الطوبى والقداسة وسعادة الذكر والثبات العجيب في الايمان . وهذا كلّهُ ينفي ما ادّعاهُ القس منسّى مخالفاً لكنيسته وكنيسة الله الجامعة ومنضماً للبروتستانت اعداء كنيسته وكنيستنا . فتأمل

﴿٢ البابا حنة﴾ هي المسئلة الثانية التي اوردها القسّ منسّي في كرّاسته ظنّاً منهُ انهُ يسودّ وجه الكنيسة الرومانيّة ولم يسوّد غير وجهه بذكرها . وهي خرافة اثبتنا اصلها وفصلها وخلوّها من كل اساس حتى لم يجسر اليوم رجلٌ عاقل من ذكرها وانما اعداء الكنيسة فضلاً عن اصحابها ببطلانها . فلا نريد ان نضيع الوقت بتكرار ما فندناهُ سابقاً . فلتراجع مقالتنا «خرافة البابا حنة» في المشرق (١٩ [١٩٢١] : ٨٥٤—٨٥٩) جواباً على ما اقترحهُ علينا احد ادباء البروتستانت ابرهيم افندي الرشي . . فكيف لم يخجل القس منسي من الرجوع الى قيئهم سامحهُ الله

﴿٣ رئاسة القديس بطرس على كرسي رومية﴾ هي المسألة الثالثة التي عالجها القس منسي يوحنا ايرشق بها تعليم الكنيسة الجامعة المعلنة بان القديس بطرس دخل رومية وانشأ فيها كرسيّهُ الروماني المتولي على كراسي الكنيسة باجمعها . والادلّة على هذه الحقيقة ثابتة بشواهد خمسة عشر جيلاً الى ان قام البروتستانت وحاولوا نقضها كمألوف عادتهم ليس لبيان حقيقة مجهولة بل مكابرةً وعناداً

فاي برهان يمكنهُ ان يقنعك يا حضرة القس منسي للتسليم بهذه الحقيقة ؟

---

١) راجع المجلد السادس من شهر ايلول البولنديين وفيهِ (ص ٦٢٢-٦٧٢) مقالة مفصلة بالادلّة والبيّنات لتفنيد جحود القديس ليباريوس

١ أتريد ﴿ التأريخ ﴾ فهذه سلسلتهُ الراقية الى زمن الرسل وقرون الكنيسة الاولى كلُّها بلسان واحد تشهد لهذه الحقيقة مباشرةً بالقديس اغناطيوس النوراني رئيس اساقفة انطاكية الذي في رسالته الى اهل رومية (مجموعة الآباء لمين ٥ : ٨٠٨) يقول لهم انهُ «لا يريد ان يأمرهم كما امرهم الرسولان بطرس وبولس» (οὐχ ὡς Πέτρος καὶ Παῦλος διατάσσομαι ὑμῖν) . ومثلهُ اكليمنضوس تلميذ بطرس وخلفهُ على كرسيّه الروماني الذي ذكر الرسولين بطرس وبولس بين شهداء رومية في اضطهاد نيرون (مين ١ : ٢١٧) ويقول عنهما انهما «كانا لدينا افضل قدوة واحتملا ماير الناس وقاسيا ضروب العذاب» . ومثلهما پاپياس تلميذ يوحنا الرسول الذي اثبت اوسابيوس المؤرخ (مين ٢٠ : ١٧٢) شهادتهُ عن تبشير بطرس في رومية . وكذلك ايريناوس في القرن الثاني (مين ٧ : ٨٤٥) يُفحم الهراطقة والمبتدعين باحالتهم الى «كرسي رومية الذي انشأهُ الرسولان المجيدان بطرس وبولس» . ثمَّ يذكر لينوس اوَّل خليفة بطرس . وكذا تجد مثل هذه الشواهد في الآباء القدماء كاقليمس الاسكندري واوريجانوس الخ الخ . وقد عيَّن اوسابيوس اوَّل مؤرخي الكنيسة (مين ٢٠ : ١٧٢) واوروسيوس (مين ٣١ : ١٠٧٥) الزمن الذي دخل فيهِ بطرس رومية اي في اوائل ملك كلوديوس . ولا ننكر ان القديس بطرس بشَّر في غير بلاد بعد دخولهِ الى رومية وقبل استشهادهِ فيها

٢ اتريد ﴿ شواهد الكنائس الشرقية ﴾ فانها جميعاً دون شذوذ تصرّح بما تنكره يا حضرة القس . فلو كان لحضرتك ادنى اطلاع على ما رواهُ اصحابك اليعاقبة المنوفستيُّون كابي الفرج ابن العبري وديونيسيوس برصليبا وميخائيل الكبير وبركيفا لما فاتك اقرارهم بهذه الحقيقة . ومثلهم النساطرة كطيموثاوس الكبير واليا الصوباوي وسليمان البصري وعبد يشوع وعمرو بن متى وتوما المرجي . وقد جمع شواهدهم البطريرك الكلداني الطيب الذكر عبد يشوع خياط . ولا يصعب علينا ان نأتي بشواهد عديدة من آباء اليونان وكتبتهم كالقديسين يوحنا فم الذهب وباسيليوس وغريغوريوس وفي سنكسارات هذه الكنائس وكتبها الرسمية كالميناون والفنقيط والكاز فكلُّها مشحونة بذكر بطرس هامة الرسل واوَّل اسقف رومة . تُراجع هذه الكتب خصوصاً في صلواتها يوم عيد القديسين بطرس وبولس في ٢٩ حزيران

٣ وهل تتفضّل يا حضرة القس منسى ﴿شواهد كنيستك القبطيّة ومؤرخيها﴾ فراجع اليوم الخامس من شهر ابيب (٢ : ٢٠٥ من طبعة الكاهن فورجه) حيث يقال «ان بطرس دخل رومية وكرز فيها وعلّم وآمن على يده اكثر اهل رومية فقبض عليه نيرون الملك وامر ان يُصلب الخ» وكذلك جاء في اليوم السابع من مسري (٢ : ٢٥٩) : «صار (بطرس) خليفة برومية له الرئاسة على كافة رؤساء الدنيا». وان شئت مؤرخي كنيستك فهذا ابن المقفّع اسقف الاشمونيين مؤرّخ بطاركة الاسكندريّة (١ : ١٨) من طبعة العلّامة سَيْبولد» يقول صريحاً : «مضى بطرس ومرقس الى اعمال رومية وبشّرا هناك بكلام الله . . . ثم انفذ القديس بطرس ماري مرقس الاب الانجيلي الى مدينة الاسكندرية» ويسهل علينا ان نأتيك بشواهد اخرى من ابن العسّال وابن العميد وبهِ كفاية لمن لا يغضّ نظرهُ عن الحقّ

٤ ولعلّك تقنع ﴿بالشواهد الاثريّة﴾ فانزل معنا الى دياميس رومية تجد هناك عدداً لا يُحصى من الآثار منها صريحة لا سبيل الى نكرانها ومنها رمزيّة لا يشكل على احدٍ فهمُها وكلُّها تتعلق بمجيء بطرس الى رومية ورئاستهِ واعمالهِ وموتهِ . وصور القديس اما وحدهُ واما مع القديس بولس لا يكاد يخلو منها احصاء . والبعض منها يرقى الى اوائل القرن الثاني للمسيح قد اكتشفها كبار الاثريين كبرلسدّتي ودي روسي وغاروتشي وغيرهم . وقد نشر حضرة الاثري الاب لويس جلابرت اليسوعي مقالة ممتعة في هذا الشأن (المشرق ٦ [١٩٠٣] : ٥٧٧ – ٥٨٥) فليراجعها القس منسّى ولينظر كم يرتكب شططاً في اقوالهِ

٥ ما لم يطلب منا حضرة القس شواهد من غير النصارى . فدونك ﴿شواهد من المسلمين﴾ وقد جمعناها في المشرق (٥ [١٩٠٢] : ٢١٧ – ٢٢٤) وهي لخمسة عشر كاتباً من اشهر كتبة الاسلام واقدمهم كابن رسته († ٢٩٥ – ٩٠٨) في كتاب الاعلاق النفيسة وابي جرير الطبري († ٣١٠ – ٩٢٢) في تاريخهِ . والمسعودي († ٣٤٦ – ٩٥٧) في مروج الذهب وفي كتابهِ التنبيه والاشراف . والاصطخري († ٣٥٠ – ٩٦١) في مسالك الممالك . وابن حوقل († ٣٨٠ – ٩٩٠) في المسالك والممالك . والثعلبي († ٤٢٧ – ١٠٣٥) في قصص الانبياء . والشهرستاني († ٥٤٨ – ١١٥٣) في كتاب الملل والنحل . والشريف الادريسي († ٥٦٠ – ١١٦٥) في نزهة المشتاق . ثمّ ياقوت وابن الاثير وابو

الفداء وابن الوردي وابن بطوطة وابن خلدون والمقريزي. فاذا يطاب القس منى بعد كل هذه البراهين ؟ وهل يفضل عليهم اعداء كنيسته البروتستانت لمجرد بغضهم لكنيسة المسيح الحقيقية التي ضربت اضاليلهم بالحرم وبذلك خدمت كنيسة القديس مرقس كما دافعت عن حقوق الايمان ؟ فالى متى ينخدع المنفصلون بترهات المتشدقين ؟

مطبوعات شرقية جديدة

Chr. Pesch S. J. : PRÆLECTIONES DOGMATICÆ t.2. De Deo Uno et Trino. *Ed.* 5ª *et* 6ª, *Marks* 10, 40 — II. COMPENDIUM THEOLOGIÆ DOGMATICÆ. *t.* 2, *ed.* 3ª, *Marks* 7, 40, *Herder*, *Freiburg in Breisgau*,

دروس لاهوتية في توحيد الله وتثليث اقانيمه. ثم مختصر اللاهوت النظري

انّ رضى ارباب المدارس بتآليف حضرة الاب پيش اليسوعي لمّا ظهرت لاوّل مرّة قبل ٣٠ سنة لم يخمد مع الزمان فترى طبعاتها تتوالى [illegible] لا يزال يعيد فيها النظر لاصلاحها وتحسينها. فهذه الطبعة [illegible] صفحة عن الطبعة السابقة. نخص بين هذه التحسينات ذكره قبل كل قضية لاهوتية رتبتها في المعتقدات الكنسية أهي من الايمان او ثابتة فقط بتعليم اللاهوتيين او هي موضوعة على بساط البحث والجدال — والاب پيش كتاب آخر الجزء كذلك طبعته الثالثة وهو الجزء الثاني من مختصره للاهوت النظري. الذي وجدنا فيه تحسيناً محسوساً على الطبعة الثانية لاسيما في عرضه للادلّة على صورة مدرسيّة مدقّقة خالية من الفوائل الزائدة. على اننا كنّا نودّ لو اقتصر على بعض آيات الاسفار المقدّسة وأوضح قوّتها من البرهان فذلك أفضل من عرض كثير منها دون الدلالة على ما فيها من الحجّة لاثبات القضايا ولعلّهُ ترك الامر لعناية المعلّمين. وقد احسن باضافة لائحة الكتب التي يحقّ على الطالب ان يراجعها بعد كل مادّة الاب ف. تورنيز

Hermannus Dieckmann: DE ECCLESIA, tractatus historico-dogmatici. tom. I, de Regno Dei, de Constitutione Ecclesiæ. *in*-8°, *Herder*, 1925. *pp.* XXI-555, *Prix* : 14 *Marks*.

دروس لاهوتي نظري تاريخي في الكنيسة ونظامها

الاب ديكمان اليسوعي من اساتذة اللاهوت المتازين. وضع هذا الكتاب في

الفداء وابن الوردي وابن بطوطة وابن خلدون والمقريزي. فاذا يطاب القس منى بعد كل هذه البراهين ؟ وهل يفضل عليهم اعداء كنيسته البروتستانت لمجرد بغضهم لكنيسة المسيح الحقيقية التي ضربت اضاليلهم بالحرم وبذلك خدمت كنيسة القديس مرقس كما دافعت عن حقوق الايمان ؟ فالى متى ينخدع المنفصلون بترهات المتشدقين ؟

مطبوعات شرقية جديدة

Chr. Pesch S. J. : PRÆLECTIONES DOGMATICÆ t.2. De Deo Uno et Trino. *Ed.* 5ª *et* 6ª, *Marks* 10, 40 — II. COMPENDIUM THEOLOGIÆ DOGMATICÆ. *t.* 2, *ed.* 3ª, *Marks* 7, 40, *Herder*, *Freiburg in Breisgau*,

دروس لاهوتية في توحيد الله وتثليث اقانيمه. ثم مختصر اللاهوت النظري

انّ رضى ارباب المدارس بتآليف حضرة الاب پيش اليسوعي لمّا ظهرت لاوّل مرّة قبل ٣٠ سنة لم يخمد مع الزمان فترى طبعاتها تتوالى [illegible] لا يزال يعيد فيها النظر لاصلاحها وتحسينها. فهذه الطبعة [illegible] صفحة عن الطبعة السابقة. نخص بين هذه التحسينات ذكره قبل كل قضية لاهوتية رتبتها في المعتقدات الكنسية أهي من الايمان او ثابتة فقط بتعليم اللاهوتيين او هي موضوعة على بساط البحث والجدال — والاب پيش كتاب آخر الجزء كذلك طبعته الثالثة وهو الجزء الثاني من مختصره للاهوت النظري. الذي وجدنا فيه تحسيناً محسوساً على الطبعة الثانية لاسيما في عرضه للادلّة على صورة مدرسيّة مدقّقة خالية من الفوائل الزائدة. على اننا كنّا نودّ لو اقتصر على بعض آيات الاسفار المقدّسة وأوضح قوّتها من البرهان فذلك أفضل من عرض كثير منها دون الدلالة على ما فيها من الحجّة لاثبات القضايا ولعلّهُ ترك الامر لعناية المعلّمين. وقد احسن باضافة لائحة الكتب التي يحقّ على الطالب ان يراجعها بعد كل مادّة الاب ف. تورنيز

Hermannus Dieckmann: DE ECCLESIA, tractatus historico-dogmatici. tom. I, de Regno Dei, de Constitutione Ecclesiæ. *in*-8°, *Herder*, 1925. *pp.* XXI-555, *Prix* : 14 *Marks*.

دروس لاهوتي نظري تاريخي في الكنيسة ونظامها

الاب ديكمان اليسوعي من اساتذة اللاهوت المتازين. وضع هذا الكتاب في

بيان حقيقة الكنيسة وصفاتها. فانجز القسم الاول منهُ وقد تحفَّزنا بمراجعتهِ مقدرتهُ في الابحاث اللاهوتيَّة فشوَّقنا الى قسمهِ الثاني الذي سيبحث فيهِ عن نظام الكنيسة ودرجاتها ورؤسائها وتعليمها. كما يستدلّ عليهِ من مقدَّمتهِ التي اودعها نظرًا عموميًّا عن مضامين كتابهِ وطريقتهِ في ابحاثهِ عن التآليف التي استند اليها لاثبات قضاياه. ومما امتاز بهِ انهُ جمع بين الحقائق اللاهوتيَّة والآثار التاريخيَّة التي توافقها لاسيما الحديثة الكشف. وقد وجدنا ادلَّتهُ ثابتة مقنعة لمن يطلب الحقّ وقد اتَّسع خصوصاً في القضايا التي ينكرها البروتستانت مع الاشارة الى اضاليل الروم والشرقيين التي يُحيل القرَّاء في بعضها الى تآليف الاب دربيني (d'Herbigny) عن الكنيسة. ومما لحظناهُ في هذا الكتاب بعض الاطالات الناقلة ثمَّ ينتقصهُ شيء من الوضوح في بعض الابواب ويا ليتهُ كان قدَّم على كلّ فصل صورة محتوياتهِ مع بيان رتبتها في سلَّم المعتقدات. وكذلك رأينا براهينهُ موضحة باسهاب فلو عرضها على طريقة مدرسيَّة جامعة مانعة لظهرت قوَّتها بكل جلاء. الاب جان كابلُو

Dr Jac. Schmitt: Manna quotidianum Sacerdotum.3 *vols, in*-12, 5e *éd., Herder et Cie, Fribourg. Prix* 14 *Marks.*

المنّ اليومي للكهنة

هو المنُّ الذي وصفهُ السيد المسيح اعني سرّ قربانهِ الاقدس الذي بهِ تنوط كل الحياة الكهنوتيَّة. فان الاب شميت صاحب هذا الكتاب جعلهُ بوفرة مضامينهِ كدستور الكهنة اليومي يستقون من مواردهِ ما ينعش فيهم روح العبادة في اقامة الرتب الكنسيَّة ولاسيما تقدمة الذبيحة الالهيَّة. ومن حسناتهِ تأملات وجيزة لكل ايام السنة يستعدُّ بها الكاهن لتقديس حياتهِ وافادة المؤمنين المتعبدين للقربان الالهيّ. والكتاب غاية في الاتقان من حيث طبعهِ وجودة صورتهِ ج. ل

G. Dujarric: Manuel de Chronologie de l'Histoire de France. 1 *vol. in*-12, *Paris, Albin Michel éditeur, Prix* 7 *f*. 50

دليل سباق اخبار تاريخ فرنسة

قد وجدنا في هذا الدليل ما كنا نتمناه من المعلومات العموميَّة والخصوصيَّة الَّا بعض الاسهاب في وصف الحرب الكونيَّة الاخيرة. ومما استحسناه ما ادرجه المؤلف في كتابهِ عن تواريخ الازمنة التي شاعت بين الامم وجداول عديدة تحتوي ذكر ملوك الدول ورؤساء حكوماتها ثم مختصر اخبار الحروب والمعاهدات التي جرت في العالم

مع تعريف دساتيرها وشرائعها. وفي آخر الكتاب فهارس مدقّقة على ترتيب حروف المعجم. والكتاب لطيف الحجم جميل الطبع قليل الاغلاط الطبعيّة

ROMA. PIANTA MONUMENTALE CON 300 ILLUSTRAZIONI. Edizione Maglione e Strini, *Roma*, 1925, *Prix* 5 *lires*.

رسم مدينة رومية مع ٣٠٠ صورة من ابنيتها وآثارها

نُشر هذا الرسم بنسبة السنة اليوبيلية حيث يتوارد الى رومية الالوف المؤلفة من الزوّار. وهو يشمل كل انحاء المدينة المقدّسة حتى قصورها المشيّدة فوق آكامها الى شواطئ البحر. ومن مميزاته تعريف موقع كل اثر مع بيان خواصّه الهندسيّة. هذا فضلًا عن عدّة فوائد لا يستغني عنها الغرباء جمعها صاحب هذا الكتاب في ١٦ صفحة فأجاد

André (Louis): HISTOIRE ÉCONOMIQUE depuis l'Antiquité jusqu'à nos jours. 1 *vol. in*-16, 3e *éd.*, 210 *pp.*, *Paris*, *Libr. Alcan*, *Prix* 9 *f*.

التاريخ الاقتصادي منذ الازمنة القديمة الى يومنا

لم يقصد مؤلف هذا الكتاب الاتساع في تاريخ الاقتصاد في القرون الماضية بل عرَضهُ ملخّصاً لناشئة وطنه وهذا ما دفعهُ الى ان يجعل لفرنسة القسم الاوفى في درسه ويقتصر في بيان احوال الدول الاوربيّة سواها. بيد انّ كتابهُ لا يخلو من منافع عديدة لغير مواطنيه ايضاً وخصوصاً لاساتذة التاريخ الذين يكتفون بنظر عمومي عن طرائق الاقتصاد في سائر انحاء العالم ج. ل

Christo M. Macri. L'organisation de l'économie urbaine dans Byzance sous la dynastie de Macédoine (867-1057). 1 *vol. gr.in*-8°, *Paris*, 1925, *Librairie R. Guillon*, *Prix* 15 *f*.

تدبير الاقتصاد المدني في بوزنطية

كان التاريخ البوزنطي قبل خمسين سنة مجهولًا فيرميه الجمهور بسهام الملام والاحتقار. ومذ ذاك الحين توفّرت التآليف التي اظهرت بوزنطية في هيئة جديدة. يؤيد هذا الحكم احد المخطوطات المكتشفة حديثاً في مكتبة جنيفا يعرف «بكتاب المحتسب» ويحتوي على تفاصيل خطيرة في احوال بوزنطية الاقتصاديّة على

عهد السلالة المقدونيّة التي ضبطت هناك زمام الحكم . ويفسّر تنظيم النقابات وعلائق الافراد مع الحكومة في الصناعة والتجارة . وعلى هذا الكتاب بنى المسيو كرستو مكري تأليفه الذي نحن بصدده فاستخرج فوائده لمنفعة اهل زماننا . على انّ الكاتب اجنبيّ لم يحسن الكتابة في الافرنسيّة فلم يوضح عن افكاره مجلاً . ولو استند الى ما كتبهُ في ذلك بعض المتضلّعين من المستشرقين لأصاب الهدف . ومن فصوله الحسنة الفصل الباحث عن تجارة القزّ والحريريّات في ذلك العهد ج . ل

Le Comte Albert de Mun: sa vie publique, par Jacques Piou, 1 *vol.*, *in*-8°, *pp.* 356, *Ed. Spes*, *Paris*, 1924, *Prix* 15, *f*°

ترجمة الكنت البير دي مون

قليلون في فرنسة الرجال الكاثوليك بين العاليين الذين أدّوا خدماً جليلة للدين والوطن معاً كالكنت البير دي مون . فهذا البطل المقدام منذ الحرب السبعينيّة الى الحرب الكونيّة كان كروح كلّ المشروعات الكاثوليكيّة يحييها بمثله وينعشها بخطبه البالغة من البلاغة والتحمّس اقصى الدرجات فانّهُ جاهد الجهاد الحسن ولستحقّ اعتبار اعدائه فضلاً عن اصحابه وابقى لهُ ذكرًا طيّباً أحبّ ان يخلّد عرفهُ احدُ اصحابه ورفيقهُ في جهاده عن صوالح الكنيسة وفرنسة الكاثوليكيّة وهو الخطيب المصقع والكاتب المُجيد «جاك بيو» . وقد جاء كتابهُ في وقته اذ يحاول اعداء الدين تجديد حملاتهم على الكنيسة ولا يحجمون عن تمريض وطنهم لاخطار المشيوعيّة . فنعمَ العمل وحبّذا الكاتب ل . ش

Eugène Tavernier. Cinquante ans de politique. : L'œuvre d'irréligion. 1 *vol. in*-8° *s. d.*, *Paris*, *Ed. Spes*, *Prix* 15 *f*°

خمسون سنة في السياسة اللادينيّة

هذا كاتب آخر من المجاهدين في سبيل وطنهم ممّن عرفوا أتمّ معرفة تاريخ فرنسة ومعاصريهم . اراد ان يبين في هذا الكتاب الضربات الاليمة التي دهمت فرنسة في نصف القرن السابق حيث تحزّب اعداء الدين واستغلوا القوى لهدك اساسهِ وتقويض اركانهِ في قلوب الشبيبة فانّهم وان لم يدركوا كل مبتغاهم قد زرعوا في نفوس الناشئة بذور الكفر والخلاعة وأعدّوا لوطنهم مستقبلاً سيئاً ولاعدائهِ أملاً

قويًا في مناهضته . ولئلّا ينسب احدٌ الكاتب الى المبالغة والغلوّ قد اسند كتابهُ الى كلام الرجال الموثوق بهم فبيّن ما للقوم من النيّات المستقبحة التي وضعوا لها لائحةً يسعون كل السعي في تقليبها وهي اذا تمّت اوقعت فرنسة في دركات الخراب ل . ش

Henri de Regnier, de l'Acad. française. Scènes MYTHOLOGIQUES suivies de petites fables modernes. 1 *vol. Paris*, 1924, *Soc. d'édit. «Le Livre»*. *Prix* 6 *f*, 75

مشاهد اساطير الاوّلين

ليس تحت هذا الكتاب كبير امر . ولولا ان صاحبهُ من اكاديمية فرنسة لبقي خاملًا مجهولًا . فانهُ عرض فيهِ خيالاتهِ عن احوال القدماء في خرافاتهم الدينيّة والحقها بامثال حديثة مبتكرة لا تزيد الكتاب نفعاً يُذكر ج . ل

Benda (Julien) : Lettres à Mélisande pour son éducation philosophique. 1 *vol. in*-16, *Paris. ibidem*, *Prix* 7 *f*, 50

رسائل الى ميلزندة لتربيتها الفلسفيّة

انّ [illegible] عادةً جميلةً يلازمني [illegible] ان يقرّب اليهنّ الابحاث النسنيّة فتخيّل سيّدةً نصفاً يعرض عليها مسائل فلسفيّة قريبة المنال ممّا يستحقّ الاعتبار في نظر النساء كمعرفة الخاصّ والعام وخواصّ النفس والاحساسات والغايات الخ . وذلك بانشاء سهل يمزج فيهِ الفكاهات التي من شأنها ان تثير رغبةً في مطالعة الكتاب . هذا فضلًا عن ظواهرهِ اللطيفة من حجم وورق وحروف طبعيّة ل . ش

ELÉMENTS DE MATHÉMATIQUES SUPÉRIEURES (Cours de Mathématiques Générales) par H. Vogt. 1 *vol. in*-12, *Paris, Vuibert*, 12e *Éd.*, 1925, *Prix* 40 *f*

مبادئ الرياضيّات العليا . الدروس العموميّة

عديدة هي التآليف المختصّة بالرياضيّات العموميّة ممّا رُضع لافادة الطبيعيين والكيمويّين وتلامذة مدارس الهندسة . وبينها ما هو حسن جدًا ومن جملتها الكتاب المتون آنفاً كما تشهد لهُ طبعاتهُ الاثنتا عشرة . وهذه الطبعة الحديثة تستوجب الثناء

بما أضيف اليها من التحسينات بل الأولى ان يقال ان مؤلفها المبير فوّقت اخرجها على صورة جديد غاية في الحسن والذوق فانهُ ألفت النظر الى بعض المسائل الحسابيّة المهمّة كاحصاء القراطع وأتسع في شرح القضايا العويصة التي تعتاص على الطلبة وتفنّن في التمرينات التي تسهّل حلّ المشاكل الحسابيّة للدارسين الذين يُحرمون من تعليم المعلّمين. وعلى رأينا ان المؤلف قد اصاب الهدف وعرف السير في الطريق الوسطى مبتعدًا عن الاسهاب المملّ والتقصير المخلّ ومجتهدًا في كل صفحاتهِ بان يثبت بين العلم والعمل ولعلهُ بنظرهِ هذا قد اكتسب ثقة الدارسين الاب انطون غرّنج

Cours gradué de Traduction pour les Classes Supérieures dans les deux langues française et arabe par Joseph Alouan missionnaire Lazariste, 1re Partie, Livre du Maitre, *Beyrouth. Impr. Cath.*, 1925, *pp.* 91, *Prix* 6 *f*s

مرقاة المترجم للاب يوسف علوان المرسل اللازري

هو الكتاب المدرسي الذي اشرنا اليهِ في عددنا السابق واثنينا على مؤلفهِ وهذا القسم هو كتاب المعلم الموافق لهُ يترتّب للاساتذة عملهم باصلاح ما في كتاب التلميذ من المشاكل. يُطلب من مؤلفه وثمنهُ ٣٠ قرشًا سوريًا

كتاب كنز البراهين

تأليف فوزي الساعاتي

طُبع بمطبعة الفيحاء في الشام سنة ١٣٤٣

يدّعي صاحب هذا الكرّاس انهُ جمع في مقالته كنزًا من البراهين ولا نراهُ إلّا مجموعًا من السفسطات يقتضي تفنيد كل سطر منهُ مقالةً منفردة فان كان صاحبهُ يريد الجدال فلا نأباهُ على شرط ان يُحصَر في نقطة واحدة ومسألة منفردة ولا ينتقل الخصم منها الى سواها حتى يقتنع على صحتها الفريقان. فكم وكم في هذا الكرّاس من المزاعم الباطلة والحجج الواهنة في تأليف الانجيل والمعتقدات النصرانيّة كالتوحيد والتثليث والتجسُّد والفداء وغير ذلك ممّا رواهُ عن اعداء النصرانيّة او اهل الشيع والمبتدعين. وقد رددنا في الشرق على بعض هذه الاضاليل كاثبات لاهوت السيد

المسيح (في ردنا على المنار المصري) وكتثليث الاقانيم في الاله (ردًّا عليه وعلى التنير) وكصحّة الاناجيل المقدّسة . وكل ذلك بادلّة واضحة وبراهين عقلية ونقلية ولم يَقُم احد من المسلمين لتفنيدها . وعندنا انّ الجدال بالكتابات لا يأتي بنتيجة بل يفضي الى نضال وشتام ويزيد سوء الفهم بين المجادلين فان كان احد يطلب الحقيقة فليعرض مشاكلهُ على من لهُ قدرة في حلّها ويطلب من الله ان يزيل من فكره الشكوك ويوّهلهُ الى معرفة الدين الحقّ دون مكابرة ولا عناد . هذا وليس في فكرنا ان نصدّق على ما يكتبهُ المبشّرون الاميركان في هذا الشأن معما في شيعهم المتعدّدة من المناقضات وانّما نتكلّم عن كنيسة المسيح الوحيدة المقدسة الكاثوليكية التي حفظت وديعة الايمان كما تسلّمتها من السيد المسيح ورسلهِ على الرغم من كل البدع التي تعرّضت لها فاتت البدع والوديعة لا تزال سالمةً ثابتة في ايدي كنيسة الله لم تُصَبْ باذى وهكذا ستبقى الى منتهى الدهر لأن الحق يعلو ولا يُعلى عليهِ

ل . ش

فتاة الناصرة

رواية تمثيلية في اربعة فصول . تأليف الخوري بولس البستاني
طبع بالمطبعة الكاثوليكية . بيروت ١٩٢٥ (ص ٧٤)

انّ في احداث الاسفار المقدّسة موارد لا تنفد لمن يريد تأليف روايات تمثيليّة شعريّة او نثريّة . فانّ الشاعر الاسباني كلدرون ألّف نحو ثلثمائة رواية بناها كلها على بعض اخبار الكتاب المقدّس . ومن ثمّ قد استحسنّا اختيار حضرة الخوري بولس البستاني لاخبار سرّ مولد السيّد المسيح فبنى على تفاصيلها الواردة في الانجيل رواية شائقة دعاها فتاة الناصرة ضمّنها اخبار البشارة بيوحنا المعمدان ثمّ بالسيّد المسيح الى مريم العذراء وشفعها بذكر مولد يسوع في بيت لحم ومجيء المجوس الى اورشليم وسجودهم للربّ وختمها بقتل هيرودس للاطفال وبتوبة عتيب فعلهِ الاثيم وبنجاة العائلة المقدّسة من ظلمهِ فيظهر ملاكان يقول اوّلهما : مسات الظلوم حسرةً وكمدا . ويردف الثاني : عاش المسيح المرتضى مؤيّدا . فنهنئ حضرة المؤلف على تصنيفهِ هذه الرواية التي يحسن بطلبة المدارس ان يمثّلوها في موسم ميلاد الربّ فلا شكّ انها تروق مشاهدها في اعين الحضور وتشنّف مسامعهم بنثرها السائل وشعرها الاصيل ل . ش

الحياة النباتيّة

بقلم امين الفريّب صاحب مجلة الحارس

طُبع في بيروت في مطبعة جان دمك سنة ١٩٢٥ (ص ١١٠)

يعلم القرّاء كم يحتاج الوطنيّون الى كتب علميّة في لغتهم. فهذا كتاب يسدُّ بعض تلك الثلمة وضعهُ احد ادبائنا المعروفين بالهمّة وسعة المعارف اخذ تبويبهُ عن المؤلف الانكليزيّ جرانت ألّن وبنى معظم فصولهِ على اساسهِ واضاف اليهِ ما اقتبسهُ من التآليف الحديثة للنباتيّين وغيرهم فاخرجهُ على صورة جامعة بين الفائدة واللذّة. ونقترح على جنابهِ ان يختصرهُ ويجعلهُ كتاباً مدرسيًّا ذا اسئلة واجوبة مزدانًا بالتصاوير

كتاب خطط الشام

الجزء الاول: تأليف محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربيّ

طُبع في المطبعة الحديثة بدمشق سنة ١٣٤٣ هـ ١٩٢٥م (ص ٣٠٨)

جمع المقريزيّ في كتابهِ الخطط والآثار من الاخبار والمعلومات عن مصر ووادي النيل ما لا يُقدَّر ثمنهُ. فصاحبُ جناب السيد كرد علي ان يجاريهُ برسم خطط الشام وآثارها وهو نعم الفكر الذي لا يمكن ان يقوم بهِ غير الجهابذة مثلهُ لما يُحتاج اليهِ من المعارف الواسعة والمطالعات العديدة في اللغات الوطنيّة والاجنبيّة. وقد سبق جنابهُ ونشر قائمة المصادر التي استند اليها في كتابهِ ولعلَّهُ كان زادنا افادةً لو وضع في ذيل كلّ صفحة اسماء الكتب التي رجع اليها في كلّ فصل خاصّ. وعلى كل حال اننا نشكر سيادتهُ على هذا العمل الجليل. ولنا فيهِ ملحوظات نؤجلها الى فرصة أُخرى فنفرد لهُ مقالةً خاصّة ان شاء الله نبيّن فيها حسنات الكتاب وبعض ما وقفنا عليهِ من النقص وليس الكمال إلّا لله

ل. ش.

مقالة في الوحي

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي

طُبع في مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٧٠)

انَّ للابحاث الدينيّة رجالها الذين عرفوا صحيحها من باطلها وسمينها من غثّها.

والعجب ان بعض المتهوّسين ممّن لا إلمام لهم بها يحتكّهم اللسان فيكتبون في العقائد الدينيّة ويشطّون في بيانها شططاً بعيداً. فمن ذلك ما قرأناه في بعض الجرائد عن الوحي وحقيقته وإمكانه وضرورته ما يناقض تماماً تعاليم الكنيسة وأربابها. فتقريفاً لهذه السفاسف حرّر حضرة الاب شرل ابيلا عدّة مقالات نشرتها مجلّة المشرق بيّن فيها المؤلف ما يجب على كل عقل صائب ان يقبلهُ من هذا الوجه او يتجّهُ على حسب ما قرّرهُ الآباء وكبار اللاهوتيين استناداً الى الاسفار المقدّسة والتقاليد المتواترة فجمعنا تلك الفصول ونشرناها على حدةٍ ليسهل على القرّاء الرجوع الى فوائدها. ل.ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — برنامج جمعية اخوية الفقراء لسنتها الثامنة والعشرين ١٩٢٤ — وهي قد صرفت في سبيل الخير ٣٦٥,٦٥٠ قرشاً سورياً جازى الله كل المحسنين اوفى جزاء.

٢ — التحفة الادبيّة — من اعمال الجمعيّة الانطونيّة بيت لحم لسنة ١٩٢٤-١٩٢٥ طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسكان في القدس الشريف. بلغت واردات الجمعيّة ٥٢,٦١٠ قرشاً صرفت منها في سبيل البرّ ٢٥,٣٤٢ قرشاً

٣ — إخاص العواطف — هو مجموع لطيف من قصائد عامرة الابيات رقّ اساتذة وتلامذة مدرسة ميفوق ان قدس الاباتي بلغنان اغ طوس داغر التوري رئيس الرهبانيّة اللبنانيّة العامّ بمناسبة عودته من زيارة رومية العظمى بحضور حفلات يوبيل سنة ١٩٢٥ المقدّسة طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة. بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٣٤)

٤ — ديوان الملّاط — بلغ الى يدنا بعد انجاز صفحات المشرق فنرجئ الكلام عنهُ الى عدد آخر

٥ — مناهج الكمال في اسس الخصال — يحتوي على بعض فصول ادبيّة تأليف عمر علي اسماعيل معلّم مدرسة شحيم في اقليم الخرّوب. طُبع في بيروت بمطبعة الاتصار سنة ١٩٢٤ (ص ٣٦)

شذرات

﴿افادة عن علي بن زيز النصراني﴾ لما سألنا الاديب يوسف افندي صفير أن نفيدهُ عن المسمّى علي بن زيز النصراني الذي ورد ذكرهُ في مجلّة المقتبس (٤ : ٥٥٨)

والعجب ان بعض المتهوّسين ممّن لا إلمام لهم بها يحتكّهم اللسان فيكتبون في العقائد الدينيّة ويشطّون في بيانها شططاً بعيداً. فمن ذلك ما قرأناه في بعض الجرائد عن الوحي وحقيقته وإمكانه وضرورته ما يناقض تماماً تعاليم الكنيسة وأربابها. فتقريفاً لهذه السفاسف حرّر حضرة الاب شرل ابيلا عدّة مقالات نشرتها مجلّة المشرق بيّن فيها المؤلف ما يجب على كل عقل صائب ان يقبلهُ من هذا الوجه او يتجّهُ على حسب ما قرّرهُ الآباء وكبار اللاهوتيين استناداً الى الاسفار المقدّسة والتقاليد المتواترة فجمعنا تلك الفصول ونشرناها على حدةٍ ليسهل على القرّاء الرجوع الى فوائدها. ل.ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ — برنامج جمعية اخوية الفقراء لسنتها الثامنة والعشرين ١٩٢٤ — وهي قد صرفت في سبيل الخير ٣٦٥,٦٥٠ قرشاً سورياً جازى الله كل المحسنين اوفى جزاء.

٢ — التحفة الادبيّة — من اعمال الجمعيّة الانطونيّة بيت لحم لسنة ١٩٢٤-١٩٢٥ طُبع في مطبعة الآباء الفرنسيسكان في القدس الشريف. بلغت واردات الجمعيّة ٥٢,٦١٠ قرشاً صرفت منها في سبيل البرّ ٢٥,٣٤٢ قرشاً

٣ — إخاص العواطف — هو مجموع لطيف من قصائد عامرة الابيات رقّ اساتذة وتلامذة مدرسة ميفوق ان قدس الاباتي بلغنان اغ طوس داغر التوري رئيس الرهبانيّة اللبنانيّة العامّ بمناسبة عودته من زيارة رومية العظمى بحضور حفلات يوبيل سنة ١٩٢٥ المقدّسة طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة. بيروت سنة ١٩٢٥ (ص ٣٤)

٤ — ديوان الملّاط — بلغ الى يدنا بعد انجاز صفحات المشرق فنرجئ الكلام عنهُ الى عدد آخر

٥ — مناهج الكمال في اسس الخصال — يحتوي على بعض فصول ادبيّة تأليف عمر علي اسماعيل معلّم مدرسة شحيم في اقليم الخرّوب. طُبع في بيروت بمطبعة الاتصار سنة ١٩٢٤ (ص ٣٦)

شذرات

﴿افادة عن علي بن زيز النصراني﴾ لما سألنا الاديب يوسف افندي صفير أن نفيدهُ عن المسمّى علي بن زيز النصراني الذي ورد ذكرهُ في مجلّة المقتبس (٤ : ٥٥٨)

وبيّنا تصحيفهُ « بابن رين» في فهرست ابن النديم (ص ٣١٦) و«بابن زين» في معجم البلدان وفاتنا ان نذكر صورة ثالثة وردت في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة (١ : ٣٠٩) ولعلّها هي الصواب فدعاهُ ابن رَبَّن الطبريّ وقال اسمهُ ابو الحسن علي بن سهل ثمّ روى عنهُ انهُ كان كاتباً لمازيار بن قارن وانهُ اسلم على يد المعتصم وادخلهُ المتوكل في جملة ندمائه . فهذا ما نبّهنا اليهِ جناب عبّاس إقبال سكرتير البعثة العسكريّة الايرانيّة في باريس في كتاب حرّرهُ في بيروت في ١٢ حزيران ١٩٢٥ . هذا وقد مرّ لنا ذكر علي ابن ربّن في المشرق (٢٢ [١٩٢٤] : ٥٥١ و١٠١٣) حيث ذكرنا كتاب الدين والدولة الذي نسبهُ اليهِ الفونس منكنا ثمّ رجّح حضرة الاب موريس بويج كونهُ من الكتب الموضوعة ويؤخذ من كلام ابن ابي اصيبعة انهُ كان يهودياً فأسلم

﴿الاستاذ المغربيّ ونصرانيّة العجّاج﴾ اخذ علينا ذو الفضيلة الاستاذ المغربيّ في عدد ٩ حزيران من الف باء نَظْمَنا العجّاج بن رؤبة بين شعراء النصرانيّة وحاول تفنيد زعمنا بقولهِ انّ كلمة الراجز «الحمدُ لله الذي أعطى الشبر» التي استندنا اليها لاثبات نصرانيّة العجّاج إمّا رواية غير صحيحة وامّا انّها لا تدلُّ على دين قائلها النصرانيّ . فجوابنا على (الاوّل) انّ رواية «الشبر» راقية على قول الصاغاني في تاج العروس (٣ : ٢٨٩) الى الخليل وهو من اقدم اهل اللغة في الاسلام ويستدلّ على صحّتها انّها مقتبسة من بيت لعدي بن زيد النصراني . ونجيب على (الثاني) انّ معنى لفظة «الشبر» ليس الانجيل فقط بل القربان ايضاً كما اثبتنا الامر عن قدماء الكتبة وعن اصل الكلمة السرياني وجناب الاستاذ المغربي لم يُبطل حجّتنا في ذلك . ثمّ لم نقل ان العجاج كان نصرانيًّا ومسلماً في وقت واحد وقلنا انهُ عدل الى الاسلام بعد نصرانيّته وان يكن حفظ شيئاً من دينهِ الاصلي في شعرهِ بعد اسلامهِ

﴿العيد الذهبي للشيخ الازهري﴾ كان الرؤساء اجابةً الى جمعيّة قلب يسوع في جبيل اوفدونا في اواسط حزيران لترئس حفلات عيدهم الدينيّة فلم نحظَ بحضور اليوبيل الذهبي المقام في البلدة اكراماً للاستاذ الرئيس الشيخ احمد عبّاس الازهري لتقرّب الاجسام كما تقرّبت القلوب بوقوع الموسم الحسيني لكلينا في عام واحد . على انّنا عهدنا الى الاستاذ يوسف الغلبوني ليقوم بهذا الواجب بدلاً منّا بتقدمة تحيّتنا الزميل الكريم وقد افادنا جنابهُ انها وقعت موقع الاستحسان لدى صاحب العيد

أمدَّ الله في حياته وجعلهُ سنداً لكل مشروع يؤول الى مجده تعالى وخير الوطن

﴿معلم جديد للكنيسة﴾ لمَّا ذكرنا تثبيت قداسة بطرس كانيزيوس اليسوعي عقدنا الامل على قرب الاعلان بهِ ايضاً كلقان الكنيسة ومعلمها وهي ميزةٌ خاصَّة لا يمنحها الاحبار الرومانيُّون إلَّا لبعض الافراد الذين برزوا بتآليفهم الدينيَّة والادبيـة فشرَّفوا بها كنيسة الله. وها قد تحقق الامل وجاهر قداسة الحبر الاعظم بان مؤلفات القديس كانيزيوس العديدة أهَّلتهُ لهذا الشرف الاثيل. وسنذكر انشاء الله تلك التآليف عند احتفال كليتنا بتثبيته

﴿شهداء كندا﴾ استشهد للرهبانيَّة اليسوعيَّة ثمانيـة كهنة كانوا حاولوا التبشير بالايمان بين قبائل همجيَّة تعرف بالايروكوا (Iroquois) في كندا فنظمهم نائب المسيح البابا بيوس الحادي عشر في جملة الطوبويين في ٢١ حزيران الماضي

﴿وفاة سليمان افندي البستاني﴾ بلغتنا برقية من بروكلين نيويرك في اوائل الشهر الماضي تنعي الى البلاد وفاة العلَّامة سليمان باشا البستاني فكان لهذا النبإ الفاجع سوء تأثير في قلوب كل الذين عرفوا الرجل كعالم محرر وكاتب بليغ وشاعر مفلق وسياسي محنَّك. ولا شكَّ انَّ ذكرهُ سيبقى مخلَّداً في وطنهِ بل بين الناطقين بالضاد. وسنفرد لهُ فصلاً ان شاء الله في جملة مشاهير القرن العشرين وخيل القرَّاء الى المقالة المستماحة التي كتبها حضرة الاب خليل ادَّه في وصف الاليـاذه (المشرق ٧ [١٤٠٤] : ٨٦٥ و ٩١١ الخ) والى وصفنا لكتابه عبرة وذكرى (المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ٧٣)

﴿آثار جديدة لحمورابي﴾ عرف القرَّاء ما كان لاكتشاف شرائع حمورابي ملك بابل من الشهرة والشأن العظيم في عالم العلم. وقد وقف الاثريُّون لهُ منذ عهد قريب في سنكره على ٤٣ رسالة كتبها على الآجرّ في السنة التاسعة والعشرين من ملكه وانفذها الى وكيلهِ شمش حاسر يأمرهُ ان يتولى ادارة الاملاك التي انتزعها من الملك ريم سين ملك لرسا بعد ان غلبهُ في الحرب. وفي الرسائل فوائد جمة عن زراعة اهل ذلك الزمان واستثمارهم للارزاق وتقسيم الغلَّات على اصحاب المملكة لاسيما الجنود. ويضاف الى تلك الرسائل رسائل اخرى وجَّهها عمَّال الملك الى مأموريهِ في الشؤون عينها. وهي الآثار الاولى من جنسها ترقى الى الالف الثالث قبل المسيح وقد نشرهـا العلَّامة تيرودانجن (Thureau - Dangin) وفسَّرها واضاف اليها عدَّة ملحوظات مفيدة

أسئلة وأجوبة

س سأل المسمَّى باسم رينه (René) هل يوجد بين القديسين من دُعي بهذا الاسم ليستشفع به؟
القديس رينه

ج قد اشتهر في اواسط القرن الخامس للمسيح اسقف على أنجه احدى مدن فرنسة. ولد سنة ٣٩٥ بعد ان نالتهُ أُمهُ العاقر بدعاء القديس موريل اسقف المدينة. ولما كان في السابعة من عمرهِ أصيب بمرض عُضال ذهب بمجياته لكنَّ الاسقف المذكور عاد فأحياهُ وعُني بتربيتهِ فخلفهُ سنة ٤٢٥ على كرسيهِ. ثمَّ استثقل اعباء الاسقفيَّة وعدل الى العيشة النسكيَّة قريباً من مدينة سورنتو من اعمال ايطالية فقضى نحو عشر سنين في ممارسة كلّ فضائل النسَّاك وتوفي سنة ٤٥٠ فنُقل جسدهُ الى كرسي اسقفيَّتهِ في فرنسة ل.ش

س وسأل من عين ابل جناب الاديب بطرس بركات: ١ً أيجوز لمرأة ارملة ان تطالب بوراثة زوجها الثاني بعد ان تقيدت بالوعد عند الاقتران به بعد وفاة زوجها الاوَّل انها تتنازل عن كل حقوق الميراث اذا ما توفي قبلها. ٢ً أتخطئ اذا نكثت بوعدها وطلبت بعد موت زوجها نصيباً من ارثهِ استناداً الى الشرع المدني. ٣ً وهل يعتبر الشرع المدني ذلك التعهُّد او يبطلهُ لمخالفتهِ لقوانينهِ. ٤ً وان كان الورَثة اعطوا المرأة مبلغاً لتتنازل عن حقوقها ثمَّ ظهر بطلان الزواج أيجوز لهم المطالبة بالقيمة المدفوعة لها؟
اسئلة من وراثة امرأة ارملة من زوجها الثاني

ج يجب التمييز في هذه المشاكل الوراثية بين واجبات الضمير وقوانين الشرع ومن ثمَّ نجيب على (الاوَّل) انَّ على الزوجة بحسب الضمير ان تقوم بوعدها فلا تطالب بالارث بعد وفاة زوجها الثاني. وعلى (الثاني) انَّ في نكثها لوعدها خطيئةً إلَّا اذا طرأ عليها طارئ الفقر فلم يبقَ لها معاش الَّا من ارث زوجها فلها ان تُطالب به بعد ان أصبحت معهُ جسداً واحداً بالزواج بل يليق بالورثة من باب المحبة ان لم يكن من باب العدل ان يُعنوا بامرها عطفاً. وتجيب على (الثالث) انَّ الشرع لا يعتبر تلك الوعود عادةً ما لم تكن مسجَّلة في صكوك رسميَّة بشهود امام القضاة فان ابطلوا وعدها وحكموا لها فبحسب الضمير يجب عليها ان ترد المال للورَثة كما وعدت. وعلى (الرابع) انَّ لهذا الامر وجوهاً كثيرة لا يسع البحث فيها حاضراً ن.خ